﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾

إمام التوحيد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الدعوة والدولة

تأليف

أحمد القطان

محمد طاهر الزين

راجعه سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت: ٥٤٤٦٤٩٦ - ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١١٦٤٤ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى

977 - 331 - 104 - x

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
شكر وتقدير

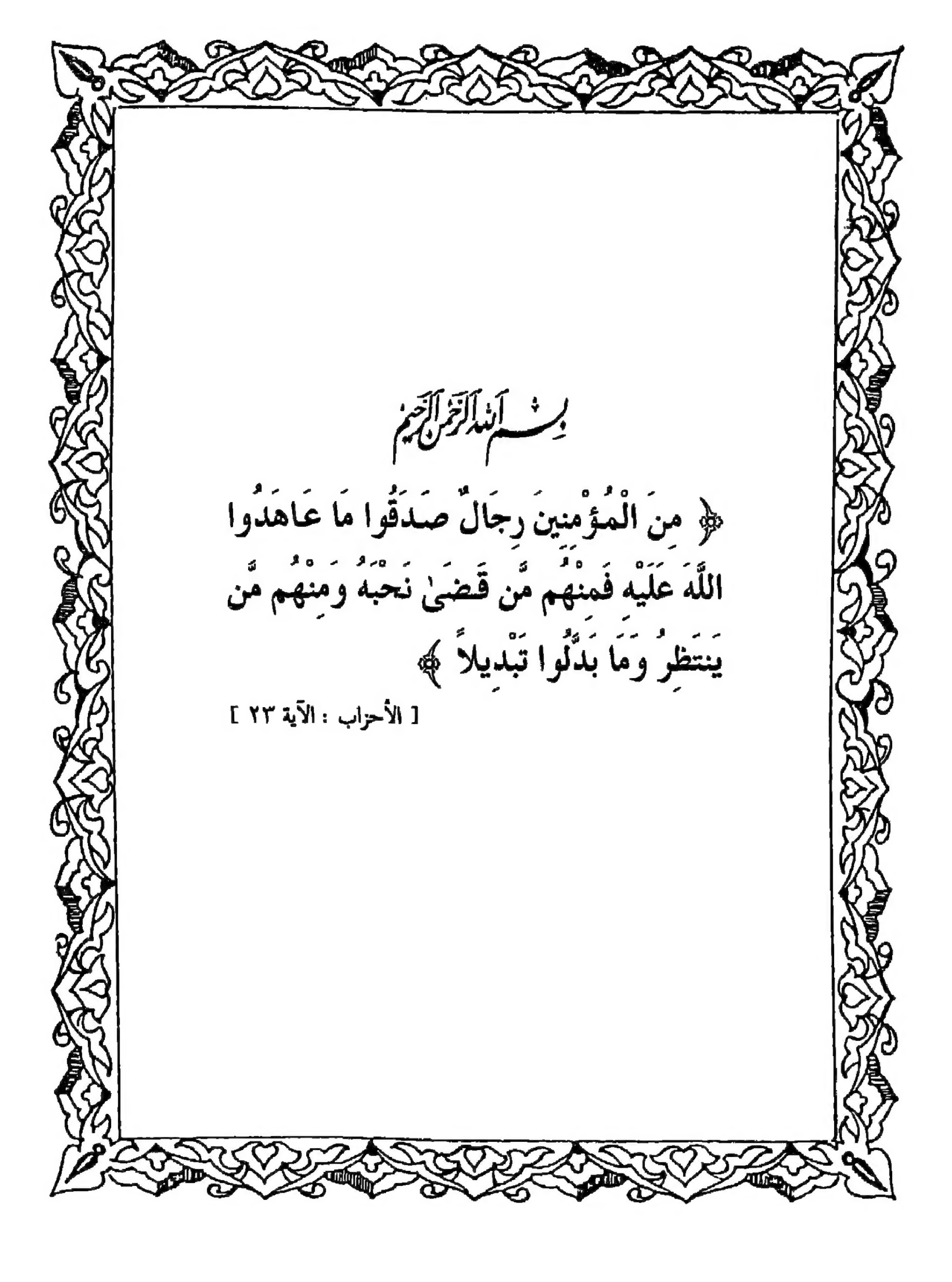
الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين. محمد بن عبدالله خاتم النبيين. وآله وأصحابه أجمعين. ورضي الله عن العلماء العاملين والدعاة المخلصين، إلى يوم الدين. وبعد :

فإننا نتقدم بالشكر الوافر والتقدير الكبير لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ على تفضله وتكرمه بمراجعة الكتاب ـ وإشارته بتصحيح بعض الأخطاء .

كما نشكر بكل الحب والعرفان الأخ محمد رفيق العجمي الذي تولى قراءة الكتاب على الشيخ حفظهما الله وجزاهما الله كل خير، وثقل الله ميزان حسناتهم يوم القيامة بما صنعوا، ونفعنا الله وإياهم بما يحبه ويرضاه. والحمد لله رب العالمين .

محمد الزين — أحمد القطان

الكويت : ربيع الثاني ١٤٠٩



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

[الأحزاب : الآية ٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الكتاب

إن الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه ، والحمد لله نحمده ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ، ونضرع بين يديه ، ونعبده لا نشرك به أحدا ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الـذين كانـوا على الحق والهدى والنور المبين ، والذين ما تقربوا إلى الله إلا بما شرعه لهم على لسان نبيهم عليه الصلاة والسلام ،

ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان ومن تبع سيرتهم وعمل على منوالهم من العلماء العاملين والأولياء المقربين وبعد :

إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يعتبـر من المجددين لهـذا الدين في عصرنا الحاضر ، فقد قام رحمه الله والناس في جاهلية جهـلاء ، وعنجهية عميـاء ، يشركون بالله جهاراً نهاراً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ويهدمون صرح التوحيد وهم يظنون أنهم من الأولياء المقربين ، فكان الناس يتمسحون بالأحجار والأشجار والغيران ، ويستغيثون بغير الله من البشر والجن والملائكة .

نهض الشيخ في هذا السبات المظلم فأنار القلوب وحرر التوحيد وخلّص العبادة من الشوائب والأوشاب ، فتاب الناس إلى الله ، وهدى الله قلوبهم للحق واستجابوا له ، وانساحوا في الأرض يجاهدون في سبيل الله حتى يحقق الله دينه وينتصر شرعه وترفع رايته

وقد نهض الشيخ في فترة لم يكن للأمة عهد بمثل تعاليمه ، ولم يكن من سبقه قريب عهد بمثل ما دعا إليه . ولذا كان صدهم له عظيماً ، ونكرانهم عليه كبيرا ، لأنهم لم يعرفوا ولم يألفوا مثل هذه الدعوة في عصرهم وفي مصرهم ، ووقف علماء السوء إلى جانب الباطل يدافعون عن مكاسبهم بدفاعهم عنـه ، ولكن الله أبطل حججهم ، وألجم ألسنتهم ، وألبسهم الذل والصغار ، ونصـر دينه وأعز جنده ، ورد الله جنـد الباطل على أعقابهم رغم كثرة عددهم وقوة عتادهم .

واستمرت حركة الشيخ تتوقد نوراً للهداة وعلى الظالمين ناراً حتى كتب الله لها الظهور والعلو ، ولازالت إلى يومنا مباركة ميمونة .

وإن كان لنا من أمل فهو أن تمد الحركة يدها إلى جميع الحركات الإسلامية وتعمل على توحيد صفوفهم وشد أزرهم ، والسير بهم في طريق الدعوة المبارك ، فـالأعداء يتربصون بالمسلمين ويمكرون بهم ، ويتحينون الفرص للإنقضاض عليهم ، ولا مخرج للمسلمين من حالهم إلا باللجوء إلى ربهم والتمسك بعقيدتهم التي جاءت من الله على لسان نبيه عليه السلام مع توحيد الكلمة ورص الصفوف وجمع الشتات ، والاتفاق على الغاية والوسائل الموصلة إليها .

نسألك اللهم أن تأخذ بأيدي المسلمين إلى ما تحبه وترضاه وأن تهيء لهم عالما مخلصاً يهديهم بهداك ، وينقذهم من الجهـل والضلالات وتبعث فيهم قـائدا ربـانيا يقودهم بكتابك وسنة نبيك ، يدافع عن بيتك الحرام ويحرر المسجـد الأقصى وديار المسلمين .

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا مـا ينفعنا ، وانفـع بما كتبنـا واجعله في ميزان حسناتنا يوم تنصب الموازين يارب العالمين.

أحمد القطان　　　　　　محمد الزين

الفصل الأول

نبذة تاريخية

نبذة تاريخية

بدأ الضعف والانحلال يدب في أوصال الأمة الإسلامية بعد صلاح الدين الأيوبي الذي قهر الصليبيين وحرر بلاد المسلمين منهم ، ومما زاد الامر سوءا احتلال التتار للممالك الإسلامية ، وتمزيقهم الأمة الإسلامية وطمس معالم حضارتها العلمية والدينية .

ولكن الله أيد هذه الأمة في ذلك الحين بظهور الترك العثمانيين ، واستطاع محمد الثاني بن مراد وهو ابن أربع وعشرين سنة أن يفتح القسطنطينية العظمى عاصمة الدولة البيزنطية المنيعة وذلك سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م)[1] وبذلك تجدد رجاء الاسلام وانبعث الأمل في نفوس المسلمين وصار العثمانيون موضعا للثقة في قيادة الأمة الإسلامية وفي استرداد قوة المسلمين ومكانتهم في العالم .

وقد ساعد العثمانيين في صعودهم الى قمة الزعامة الإسلامية الشعبُ التركي الذي يتميز بالحماس والطموح وحب الجهاد . وسلامة الفطرة والبعد عن الأدواء الاجتماعية التي أصابت غيره من الشعوب ، أضف الى ذلك قوة العثمانيين الحربية التي استطاعوا بها بسط سيطرة الإسلام المادية والروحية ، ورد غاشية الأمم المناوئة وعاديتها وتبوأ الإسلام من جديد زعامة العالم وقيادته .

---

(١) غزا الأسطول العربي القسطنطينية بقيادة بسر بن أرطأة سنة (٤٤) للهجرة (٦٦٤) للميلاد، وحاصرها يزيد بن معاوية سنة (٥٢) هجرية (٦٧٢) ميلادية . وحاصرها العرب أربع مرات على الأقل بعد ذلك ، ولم يفتحوها لمنعتها .

وكانوا يحكمون في ثلاث قارات : أوربا ، وآسيا ، وإفريقية ، وملكوا الشرق الإسلامي من فارس حتى مراكش ، ودوخوا آسيا الصغرى ، وتوغلوا في أوربا ، حتى بلغوا أسوار « فيينا » وكانوا سادة البحر المتوسط من غير نزاع وقد جمعوا بين السيادتين البرية والبحرية ، وبين السلطتين السياسية والروحية .

« ولكن من سوء حظ المسلمين . أخذ الترك في الانحطاط ودب اليهم داء الأمم من قبلهم : الحسد ، والبغضاء ، واستبداد الملوك وجورهم ، وخيانة الأمراء وغشهم للأمة . وإخلاد الشعب إلى الدعة والراحة . وكان شر ما أصيبوا به الجمود في العلم والجمود في صناعة الحرب وتنظيم الجيوش »[1]

وبدأت ملامح القوميات العرقية تظهر على مسرح الدولـة العثمانية . وهددت الثورات المتلاحقة في البلقان كيان الدولة وأخذت تتكون الجمعيات القومية سرا تارة ، وعلنا تارة أخرى تحت ستار الاسماء العلمية ، وظهرت التيارات العلمانية في الامـة الإسلامية ، واستطاع اليهود والنصارى تغذية هذه الاتجاهات الهدامة ـ فاليهود أرادوا الانتقام لأن العثمانيين رفضوا منحهم الوطن القومي في فلسطين ـ والنصارى يريدون أن ينقضوا على العـالم الإسلامي لـلانتقام لحمـلاتهم الصليبية التي فشلت في تحقيق أغراضها إبان حكم الناصر صلاح الدين رحمه الله .

وبذلك دقت الأحزاب والجمعيات العصبية العرقية أول مسمار في نعش الدولة العثمانية فظهر من يدعو إلى القومية الطورانية في تركيا ، ومن يدعو الى القومية العربية في الدول العربية ـ ورواد القومية العربيـة جلهم من النصارى ـ وبـدأت الثورات تتـوالى في البلدان وأخذت الحركات الانفصالية تتكاثر يوما بعد يوم وأخذت أوروبا تعد المشاريع لاقتسام تركة الرجل المريض ، ويذكر المرحوم شكيب أرسلان في كتاب حاضر العالم

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ السيد أبو الحسن الندوي ص ١٤٨

الإسلامي مئة مشروع أوروبي مسيحي لتقسيم الدولة العثمانية والانقضاض عليها .

وكان من المنتظر أن تعمل الحركات الدينية في العالم الإسلامي لوقف هذا التصدع في كيان الدولة الإسلامية وكان هذا هو دورها الطليعي آنذاك فوقفت إلى جانبها ولكن بعضها للأسف لم تقم بهذا ، بل عملت على إنهاك الدولة الإسلامية وهدمها وقامت بدورها للانقضاض على الخلافة الإسلامية وشغلتها عن أعدائها الذين كرسوا كل ما لديهم من قوة لتمزيق هذه المملكة ، وكانت الحركة الوهابية من ضمن الحركات التي ثارت على العثمانين فيما بعد وساهمت في إنهاكها وتضعضع سلطانها مخالفة بذلك رأي مؤسسها محمد بن عبد الوهاب الذي أوصى بعدم المساس بإقليم الحجاز وهو آنذاك تابع للسلطنةالعثمانية[1]وبضياع الخلافة الإسلامية وانحسارها خسر أهل الشرق المسلمين هويتهم الواحدة . وقد صاحب نسف النظام السياسي انحلال اجتماعي ·وثقافي مواز له .

(١) أنقسم المفكرون العرب في هذه الاونة إلى فريقين : أحدهما يرى صرورة الابقاء على الخلافة العثمانية ، والانضواء تحت مظلة الخلافة الإسلامية ، ويرى فريق آخر الانفصال عن العثمانيين والانضواء تحت مظلة القومية العربية

الفصل الثاني

المجتمع الإسلامي قبل الوهابية

المجتمع الإسلامي

قبل قيام الحركة الوهابية

أ ـ من الناحية السياسية

كان العالم الإسلامي يخضع آنذاك للسلطنة العثمانية في الآستانة . وقد بينا من قبل أن العثمانين أعادوا للإسلام دور قيادة العالم من جديد ، ولكنهم أخذوا في الضعف ودب إليهم داء الأمم من قبلهم فتخلفوا عن ركب الحضارة فزاد العالم الإسلامي تدهورا على توالي الازمان ، ظلمة حالكة ومحنة شاملة وجهل مطبق وظلم فادح وفقر مدقع .

والظلم إشارة الانهيار للدول والحضارات . فبدأت الثورات تشتعل في أصقاع السلطنة بدوافع متغايرة . تارة بدافع العرق والقومية ، وتارة دفاعا عن النفس ضد الظلم والجور ، وتارة أخرى بدافع الحقد والتعصب ، وتارة بدافع التخلص من السلطة الدينية للعثمانيين على العالم الإسلامي .

وعملت اليهودية والصليبية لتمزيق السلطنة وإضعافها ، فكثرت مشاكلها وتعددت ثغورها ، وأصبحت سلطتها اسمية على كثير من البلاد التي تحكمها ورضيت هي بنفسها ذلك لضعفها آنذاك ، وأصبح مركز الخلافة ـ وهو الآستانة ـ مفككاً منحلاً ، والولايات من مصر والشام والعراق والحجاز متدهورة متضعضعة قد أمات نفسها توالي الاستبداد عليها .

«وحاولت السلطنة وقف هذا الداء فأصدرت « أول دستور للدولة العثمانية عام ١٨٧٦ م . تضمن المساواة بين الرعايا العثمانيين وحماية حرياتهم وممتلكاتهم الشخصية ، ونص على إنشاء مجلسين تشريعيين من الأعيان والنواب ، وعلى إنشاء مجالس للولايات والأقضية والنواحي » وجرت انتخابات نيابية وأخرى إدارية ، واجتمع أول برلمان عثماني « مجلس المبعوثان » في آذار عام ١٨٧٧ م ولكن السلطان عبد الحميد الثاني عطل الدستور وحل البرلمان في ١٤ شباط ١٨٧٨ ، وظل الدستور معطلا حتى عام ١٩٠٨ وعاشت الولايات العربية في الدولة العثمانية هذه التجربة بكل ملابساتها»(١)

وقد صاحب هذا الانهيار في كيان الدولة العثمانية أحداث خطيرة كان لها أثر فعال على العرب وجميع مناحي حياتهم الفكرية والدينية والعلمية فمن ذلك :

١ ــ احتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ م وظلوا فيها حتى عام ١٨٠١م ، وتمكن محمد علي باشا من الانفراد بحكمها بعد خروج الفرنسيين (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) وجعل حكم مصر وراثيا حتى عام ١٩٥٢ ، وقد فتح محمد علي وخلفاؤه أبو اب مصر للحضارة الفرنسية والإنكليزية على مصراعيها ، كما أرسلوا البعثات العلمية والعسكرية الى اوربا .

٢ ــ وفي عام ١٨٣٠ تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر رغم المقاومة الشديدة من أهلها ، وحاولت فرنسا جعل الجزائر قطعة منها ولكنها لم تفلح واستمرت في احتلالها رغم الثورات المتكررة من أبناء الجزائر حتى نالت استقلالها عام ١٩٦٦م

٣ ــ كما وقعت تونس تحت الحماية الفرنسية عام ١٨٨١ .

---

(١) الاتجاهات الفكرية عند العرب ـ للدكتور علي المحافظة ص ٢٢ .

٤ ـ وحرصا من بريطانيا لتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند والشرق الأقصى فقد أحتلت عدن عام ١٨٣٩ وبدأت تمد سلطانها في دول الخليج وبعض بلاد الشام .

وهكذا بدأ دور من الصراع جديد بين العرب والأوربيين . وقد حاولت الدولة العثمانية وقف هذا السرطان في جسم الأمة العربية ولكنها لم تفلح .

٢ ـ من الناحية الاجتماعية

بدأت عوامل الضعف تدب في أوصال الأمة ، وتفشي الجهل بين الناس وأصبح عاماً شاملاً لكل البلاد ، وخيم الفقر المدقع بين الأمة فقصرت هممهم وتقاعست نفوسهم ، فأثرى أناس على حساب الكثرة وتحكمت بهم قلة ، والناس راضون قانعون .

وكان النزاع بين الأمراء مستمراً ، فكل أمير له حزبه وجماعته ، وله حشمه وخدمه ، وكل حزب يتربص بخصمه الدوائر . والبلاد ضائعة بين هؤلاء الأمراء وأحزابهم ، والولاة لا يطيلون المكث إلا ريثما تمتلىء جيوبهم وتكثر أملاكهم فيصدر الفرمان السلطاني بعزلهم .

وعلى الجملة فقد كان العالم الإسلامي ـ إذ ذاك ـ شيخا هرما حطمته الحوادث ونهكه ما أصابه من كوارث ، فساد نظام ، واستبداد حكام ، وفوضى أحكام وخمود عام .

٣ ـ من الناحية الفكرية والعلمية

كان العالم الإسلامي في نهاية القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر يعيش في ليل حالك وظلام دامس . تفشى الجهل بين أبنائه ، وأثقل الفقر كاهل الكثرة الساحقة منهم .

يقول السيد فولني /Volney بعد أن زار مصر وأقام بها وبالشام نحو أربع سنوات : « إن الجهل في هذه البلاد عام شامل ، مثلها في ذلك مثل سائر البلاد التركية ، يشمل الجهل كل طبقاتها ويتجلى في كل جوانبها الثقافية ، من أدب وعلم وفن ، والصناعات فيها في أبسط حالاتها ، حتى إذا فسدت ساعتك لم تجد من يصلحها إلاّ أن يكون أجنبيا »[١]

ولم يكن الجمود العلمي والكلال الفكري مقتصرين على تركيا وأوساطها العلمية والدينية فحسب ، بل كان العالم الاسلامي من شرقه إلى غربه مصاباً بالجدب العلمي ، وشبه الشلل الفكري ،قد أخذه الاعياء والفتور واستولى عليه النعاس . ومات فيه النشاط والتوليد والابتكار في الدين والعلم ، والأدب والشعر والحكمة . وسيطر الخمود والتقليد والمحاكاة .

« فالحكومة المصرية مثلا نراها ـ اذ ذاك ـ تخشى تعليم الرياضة والطبيعة ، فتستفتي شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمدا الأنبابي « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء ـ الكيمياء ـ وغيرها من

---

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث ـ تأليف أحمد أمين ص ٦

سائر المعارف ؟ فيجيب الشيخ في حذر : « إن ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها »وكأن هذه العلوم لم يكن للمسلمين عهد بها ولم يكونوا من مخترعيها وذوي التفوق فيها»[١]

واقتصرت دور العلم في طرقها على الطريقة التقليدية حيث تبدأ بالمتون وتترقى في الشروح ، ومن بلغ الذروة في العلم والمعرفة فهم ما في الحواشي .

وقد بلغ من تعقيد العبارات في المؤلفات ما اقتضى أن يتخصص علماء معينون في قراءة وإفهام كتاب معين فيشتهرون بهذا شهرة تلازمهم إلى يومنا هذا ، فإذا قرأت في تراجم فقهاء الحنفية مثلا تقرأ ترجمة ـ فلان بن فلان ـ المعروف بقارىء الهداية ، والهداية كتاب في الفقه الحنفي تحتاج عبارته لمتخصص في قراءتها من أجل ترجمة معانيه من العربية إلى العربية وهكذا .

وعاش العالم الإسلامي في عزلة سياسية وعلمية مخيفة ، فلا صلة بينه وبين شعوب الارض إلاّ من خلال المشاكل السياسية ، فركدت بذلك حياته العلمية وانتهت إلى ترديد كتب وعبارات الأقدمين والمجتهد النحرير من يفهمها .

« وأصبح العلم مع الزمن ، احتكارا لأسر معينة ، وغدت طبقة العلماء طبقة إجتماعية ذات امتيازات خاصة ، واتخذت موقفا صلبا ضد كل تجديد في عالم الفكر ، فقد قاوموا إدخال المطابع الى الدولة وطباعة الكتب الدينية الاسمية ولما منح أبراهيم المتفرقة المجري الأصل رخصة لتأسيس أول مطبعة في استانبول في النصف الأول من القرن الثامن عشر نصت « الفتوى » على حقه في طباعة المعاجم والكتب العلمية والتاريخية فقط»[٢]

وكان العلماء هم المشرفون على التربية والتعليم في الدولة وفي البلاد العربية ،

---

(١) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة للدكتور علي المحافظة ص ١٣

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٦

وكان الأزهر أضخم المؤسسات العلمية ، وكان يتبع له عدد من المدارس والمعاهد في القاهرة والمدن المصرية الأخرى ، وفي بلاد الشام كانت دمشق وحلب أهم مركـزين للثقافة ، وقد وجدت عدة مدارس محلية في القدس ونابلس وغيرهما من المدن الشامية ويذكر محمد خليل المرادي في كتابه « سلك الدرر في أعيـان القرن الثـاني عشر » أن العراق كان نصيبها من الثقافة والعلم في هذه الفترة أقل من غيرها من البلاد العربية ، إلا أنها حافظت على بعض التقاليـد التعليمية في عصـور البلبلة والفوضى التي تلت إحتلال المغول لها عام ١٢٥٨ م وكانت بغداد والبصرة والموصل والنجف وكربلاء من أهم مراكزه الثقافية ، وكانت مكة والمدينة من المراكز الثقافية الهامة في هذه الفترة ، وغالبا ما استقبلتا العلماء من البلاد العربية وغيرها من أقطار العالم الإسلامي . وكانت معظم المدارس والمعاهد تعيش من الأوقاف والتبرعات .

ولم يكن للتعليم في هذه المدارس والمعاهد برنامج محدد فقد كانت السنوات الثلاث الأولى مخصصة للدراسة الابتدائية ، كما هي الحال في المدارس القرآنية ، ثم يتابع التلميذ دراسة الـدين والفقه والمنطق والحساب البسيط عـلى يد أحـد الشيوخ المشـهورين ، وغالبا ما يتخصص الطلبة بعد ذلك للالتحاق بوظيفة كاتب أو قاضي أو مفتي أو إمام وقليلون منهم كانوا يستمرون في دراساتهم حتى يصبحوا معلمين أو أساتذة في المعاهد العليا .

ويحدثنا محمد خليل المرادي في كتابه السابق الذكر عن عيوب التعليم في الأزهر فيحصرها بما يلي :

١ ــ قبول أبناء الذوات[1] في الأزهر ممن لا يتمتعون بمستوى تعليمي جيد .

٢ ــ تدني مستوى الأساتذة .

---

(١) أولاد الذوات : أي أولاد لأكابر والأغنياء

٣ ـ استئثار بعض الأساتذة بتعليم كثير من المواد بحيث يُعينون بدلاء عنهم لقاء راتب زهيد .

٤ ـ تحديد الموضوعات ، وضيق النظر في التدريس ، فقد كان الهدف في التعليم تلقي بعض المعلومات المحدودة ، أما تجاوز هذه المعلومات أو مجرد التساؤل عن صحتها فقد يثير شكوك ومقاومة العلماء أو قد يصل إلى حد العقاب والطرد من المعهد أو فقدان مصدر العيش ناهيك عن التشهير[١] .

هذه أهم ملامح الحياة الأدبية والعلمية في ذلك العصر ، ولسنا نعدم مع ذلك بعض البصيص من الحياة العلمية الواعية هنا أو هناك . خاصة بعد دخول المطابع وانتشار الجمعيات العلمية ووجود الصحافة المحلية والبعثات العلمية إلى الخارج .

---

(١) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة للدكتور علي المحافظة ص ١٤ ـ ١٥

٤ ـ من الناحية الصناعية

لقد ضيع المسلمون الأيام والأحقاب والأجيال وخمدوا وخملوا واستروحوا التقليد والجمود ، ولم يبتكروا في الصناعات ولم يجددوا ولكنهم أضاعوا حتى ما كان لديهم من صناعات قديمة وفقدوا مهارتها .

ومما ينبىء عن مقدار خمول تركيا في ميدان العلوم والصناعات أن صناعة السفن لم تدخل اليها إلاّ في القرن السادس عشر المسيحي ، ولم تدخل المطابع الى العاصمة والمحاجر الصحية إلاّ في القرن الثامن عشر .

وقد تخلفوا في الصناعات بعامة وفي الصناعة الحربية بخاصة ، بعد أن كانوا أبناء بجدتها وآباء عذرتها ، وقد أقر العالم بفضلهم وتبريزهم فيها . . ولما هزمت جيوش أوربا الجيوش العثمانية سنة (١٧٧٤م) تنبهت الدولة العثمانية بعض الانتباه وعني السلطان سليم الثالث في فجر القرن التاسع عشر بالإصلاح ؛ فأنشأ مدارس جديدة ، وكان يعلم بنفسه في مدرسة الهندسة ، وألف جيشا على الطراز الحديث فثار عليه الجيش لغرابة ذلك على نفسه واغتاله .

وبذلك توقفت عجلة التقدم الصناعي ، فلا اختراع ولا ابتكار ، بل تضييع للقديم وما فيه من صناعات وابتكارات .

٥ ـ من الناحية الدينية

« كان علماء الدين في الدولة العثمانية يعتبرون أنفسهم حماة الشريعة والحريصين على التمسك بمذهب أهل السنة ، إذ كان دين الدولة الإسلام ومذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي ، وكان على رأس هـؤلاء العلماء شيخ الإسلام ووظيفته شبيهة بوظيفة الخليفة العباسي الذي كان يقيم في القاهرة في ظل حكم المماليك ، وكان مركزه معادلا لمركز الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ، ويتمتع شيخ الإسلام بصلاحية إصدار الفتاوي في القضايا الكبرى ، كأن يصدر فتوى بعزل السلطان أو إعلان الجهاد ، ولكنه من الناحية العملية يعين من قبل السلطان ، ويلي شيخ الإسلام في منصبه « قاضيا العسكر » في الروملي والأناضول وقاضي أستانبول . ويليهم عدد من القضاة يكونون جميعا مع شيخ الإسلام « المجلس الأعلى للعلماء »[١]

وجمد المسلمون في علوم دينهم فليس لـديهم إلا ترديد بعض الكتب الفقهية والنحوية والصرفية ونحوها ، وجمدوا على فقه المذاهب لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون ، وجل همهم أن يفهموا المتون والحواشي دون تعمق أو اجتهاد .

وأقاموا لكل مذهب من المذاهب الفقهية مفتيا وإماما ، وتعددت الجماعات في المسجد الواحد كل ينتصر لمذهبه وكل يصلي خلف امام مذهبه ، وبذلك يقف المسلمون لصلاة الجماعة وراء أكثر من إمام حسب المذاهب المتواجدة في ذلك المسجد ، كما أن الافتاء في أي مسألة حسب مذهب السائل ، وأحاطوا هـذه المذاهب بالقدسية

---

(١)الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ص ١٢

والعظمة ، وحرم على الناس خروجهم عنها ، وأغلق باب الاجتهاد بمغاليق من حديد .

وكان علماء الدين من أسوأ الطبقات وضعا ، وقد أخرج واقع العلماء هذا المؤرخ الجبرتي عن طوره ، وهو المشهور بوقاره ورزانته فوصفهم في تاريخه معلقا على تخليهم عن شيخ الأزهر الدواخلي ـ عندما اصطدم مع محمد علي باشا فيقول :

« انهم قد زالت هيبتهم من النفوس ، وانهمكوا في الأمور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ، ومشاركة الجهال في المآثم ؛ والمسارعة إلى الولائم في الافراح والمآتم ، يتكالبون على الأسمطة كالبهائم ، فتراهم في كل دعوة ذاهبين ، وعلى الخوانات راكعين ولما وجب عليهم من النصح تاركين » .

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب .

واستطاع نابليون بونابرت عندما دخل مصر أن يَعْبُرَ من خلال هؤلاء العلماء لما يريد فألف منهم ديوان القضاء وقال :« إني أستعين بهم لاتقاء أكثر العقبات إذ أن أكثرها دينية ولأنهم لا يعرفون أن يركبوا حصانا ولا أن يقوموا بأي عمل حربي ، وقد استفدت منهم كثيرا واتخذتهم وسيلة للتفاهم مع الشعب » .

وقد بلغ من جهلهم بدينهم أن اجتمعوا في الأزهر الشريف لقراءة صحيح البخاري حتى لا يدخل الفرنسيون البلاد ، ولكن الفرنسيين دخلوا عليهم الأزهر بخيولهم .

أضف إلى ذلك انتشار الدعوات المنحرفة والأفكار المنتسبة للإسلام البعيدة عن تعاليمه كل البعد ، وكثرت مظاهر تقديس القبور وطلب الحاجات من أصحابها وبناء القباب الضخمة عليها والصلاة حولها ، وإتيان البدع الكثيرة ، وقد روج لكل

ذلك أناس من الجهلة ومن بعض الطرقيين الذين وجدوا في هذا مغنما باردا وربحا كثيرا دون تعب ولا عناء .

التصوف :

حين اتسع عمران الدولة الإسلامية صدر القرن الأول ،وأقبل الناس على الدنيا يتمتعون بنعيمها ويتذوقون حلاوتها وخيراتها ، ويسرفون في ذلك قام بعض الصالحين الأتقياء يُزهّدون الناس في متاع هذه الحياة الزائل ، ويذكرونهم بما قد ينسونه من متاع الآخرة الباقي ، ومنذ ذلك العهد عرفت هذه الجماعة بين الناس بالمتصوفة ، وكان قوام دعوتها ذكر الله واليوم الآخر والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه .

« ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية ، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى الى تحليل الأذواق والمواجد ، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ، ومواريث الأمم الماضية وأفكارها ، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه ، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف ، والرغبة في الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة ، وأصبح كل ما يكتب أو يقال في هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفائه ونقائه .

وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة فنشأت طرق الصوفية وطوائفهم ، كل على حسب أسلوبه في التربية وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم »[١]

---

(١)الشهيد حسن البنا في مذكراته ص ١٦ .

يقول الدكتور عز الدين إسماعيل :

« وقد قامت الطرق الصوفية بدورها الإيجابي في البداية ، ونشرت الإسلام في القارة الإفريقية على نحو أذهل المستعمرين وأقض مضاجعهم ، فبينما كانوا هم يرسلون المبشرين إلى أواسط أفريقية فيكلفهم ذلك النفقات الباهظة من أجل التبشير للمسيحية وتنصير الزنوج ، فإن أتباع الطرق الصوفية الإسلامية كانوا يتطوعون للعمل على نشر الاسلام ويفلحون في ذلك أيما فلاح وذلك عن طريق التعليم الذي يقومون به لأولئك الزنوج الذين كانوا وثنيين ، فتحولوا بفضل هؤلاء الدعاة إلى المسلمين مخلصين .

قلنا هذا في عهد رجال الصوفية الكاملين الأولين ، ولقد انحرفت أخيراً إلى البدع والضلالات والخرافات ، احترفت طوائف منهم الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذور لها والذبح عندها وتقبيل أحجارها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها ، وذلك مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم زد على ذلك أنه كان لرجال بعض هذه الطرق مواقف متخاذلة تجاه الاستعمار الوافد على البلاد فقد هادنوه ، بل إن منهم من وقف إلى جانبه وأيده ، كما فعل أصحاب الطريقة التيجانية الذين قاوموا الأمير عبد القادر الجزائري في نضاله ضد فرنسا »[1] .

من هذا يتضح ما آل اليه التصوف في القرون المتأخرة حيث عمل على توطيد الاستعمار في الشرق العربي وساهم في إخماد عقيدة الجهاد ودعا إلى الرضا بالقضاء المحتوم وهو استعمار الأوربيين للبلاد ، واكتفى بترديد السبحات وإقامة الخلوات ، وقد استغل الاستعمار هذه الحال التي عليها التصوف أسوأ استغلال ، فتمكن من إخماد الأصوات المنادية بالتحرير . ولا نعدم في هذا الصدد بعض البصيص من علماء مجاهدين صادقين سلكوا طريق التصوف وجاهدوا في سبيل الله حتى أتاهم اليقين كالشيخ عبد القادر الجزائري وأتباع الزاوية السنوسية في ليبيا .

(١) الشيخ عبد الحميد بن باديس للدكتور عز الدين إسماعيل بتصرف.

الفصل الثالث

الجزيرة العربية ونجد قبل الوهابية

حالة الجزيرة العربية عامة ونجد خاصة

لم تكن الجزيرة العربية بأحسن حالاً من باقي أصقاع الخلافة الإسلامية ، فقد كثرت البدع وانتشرت المحظورات ، كتقديس قبور الصحابة والمغالاة فيهم ، وأخذ الناس يستغيثون بغير الله ،ويطلبون العون من الرسول ﷺ والصحابة من دون الله . ويشدون رحالهم إلى ذات القبور دون تفريق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية .

وأما نجد فقد كان فيها كثير من القبور التي تنسب إلى بعض الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجاتهم ويستغيثون بها لدفع كروبهم .

فقد كان في الجبيلة قبر زيد بن الخطاب يقصده الناس يتضرعون إليه ويسألونه حاجاتهم ، وكذلك في الدرعية يوجد قبر لبعض الصحابة .

وأغرب من ذلك توسلهم في بلدة المنفوحة بفحل النخل واعتقادهم أن من تقصده من العوانس تتزوج ، فكانت من تقصده تقول : « يا فحل الفحول ، أريد زوجاً قبل الحول » .

وكانوا يقصدون غاراً في الدرعية يزعمون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة .

وفي شعب غبيرا يقصدون قبر ضرار بن الأزور ، ويأتون لديه من الشرك والمنكر مالا يقبله عقل . وهكذا .

ولا أظن أن أرض الرسالة الأولى أسعد حالاً من أراضي الإسلام الأخرى حيث

كثر الفساد وانتشرت البدع ، وإن كان ذلك أقل من غيرها لقربها من المقدسات الإسلامية ومهبط الوحي وقد وصف المرحوم الشيخ حسين بن غنام في كتابه « تاريخ نجد ـ روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام » ما كانت عليه الديار النجدية وما جاورها من الشرك والضلال والفساد والطغيان فقال:

«كان غالب الناس في زمانه ـ زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ متضمخين بالأرجاس ، متلطخين بالأنجاس ، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السُنة المطهرة بالأرماس ، وإطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوي الأبصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة ، وغلبة الجهل والجهال واستعلاء ذوي الأهواء والضلال ، حتى نهجوا في تلك الطريق منهجاً وعراً ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهراً وأتوا زوراً وبهتاناً وهجراً » .

ووصف الشيخ عثمان بن بشر النجدي الحنبلي ما كانت عليه البلاد النجدية في ذلك الحين من الجهل والضلال ـ وقد عاصره بنفسه ـ في كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد» قائلاً: « وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها ، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها ، والاستعاذة بالجن والذبح لها ووضع الطعام لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر »[1].

وكانت نجد مقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير ، لا تربطه وجاره أية رابطة ، ومن أهم هؤلاء الأمراء بنو خالد في الإحساء ، وآل مُعمَّر في العيينة والأشراف في الحجاز ، وعدا هؤلاء أمراء لا يُعبأ بذكرهم .

وكان أولئك الأمراء في حروب دائمة ، وكانوا على أهبة الاستعداد دائماً عندما

---

(١) كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد ص (٣٥) .

تسنح الفرص ليعتدوا على جيرانهم، إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد للحرب .

هذا الوضع الغريب العجيب هو الذي اد الأمة آنذاك يقابله ماهو أعجب وأغرب وهو : استمراء الشعوب الإسلامية لهذه الحالة وسكوتها عليها حتى لكأنها قدر محتوم في حياتهم .

كانت هذه حالة العالم الإسلامي بعامة من الوجهة العلمية والصناعية والسياسية والاجتماعية والدينية .

والأمم بعامة التي تصاب بحالة كهذه لا تعدم في وسط هذا الظلام بصيصاً من النور ، وفي رهبة هذا السكوت من يُسمعها كلمة الحق ويناديها بأن تلتف حول أمر عزيز لديها أو شيء مقدس عندها ، وهل هناك أقدس من الإسلام عند هذه الأمة .

في ظلام الجهل الدامس وفي هذه الحالة الراكدة نهض الشيخ محمد عبدالوهاب ليوجه تيار الحق بالأمة ويقودها إلى التغيير الذي ارتضاه لها الإسلام .

المدخـــل

كانت ردود الفعل عند العرب على حالة الضعف والظلام والاضطهاد والتخلف ردوداً دينية قامت بها حركات دينية أصولية عادت بالمسلمين إلى ينبوع الإسلام الصافي ، وردتهم إلى الكتاب والسنة ، وفتحت لهم أبواب الاجتهاد والعمل ، ورفضت التقليد الأعمى والتعصب والجمود ومن هذه الحركات دعوة الوهابيين في نجد .

تسمت هذه الحركة باسم الوهابية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

كانت هذه التسمية مطعناً لخصوم الحركة فاتهموها بأنها مذهب خامس ، وأنها ترفض المذاهب الأربعة وتعاديها .

تسمت الحركة الوهابية خلال تاريخها بأسماء كثيرة كالموحدين والاخوان والحنابلة وفي عصرنا يتسمون بالسلفيين .

وأياً كان الأمر فليس في التسمية ما يعيب الحركة الوهابية فإن التسمية ليست أكثر من عَلَم على مجموعة من الناس يلتقون حول أهداف ومبادىء معينة يجمعهم اسم معين .

وسواء سميت هذه الحركة بالوهابية أو السلفية فإن منهجها يفرض عليها أن تكون سلفية ، وهي تسمية صادقة تعبر عن حقيقة هذه الحركة وواقعها العملي ، ولا يعني ذلك بالضرورة أن تكون وحدها تنهج منهج السلف ، فكثير من الحركات الإسلامية تسير على نفس المنهج وإن اختلفت الأسماء والوسائل .

والمراد تاريخياً بالسلف هم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان من أهل القرون الثلاثة الأولى التي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنها خير القرون من بعده .

ومذهب السلف هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم من الأئمة خلال هذه القرون الثلاثة كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والليث بن سعد وعبدالله بن المبارك ، والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلاً بعد جيل .

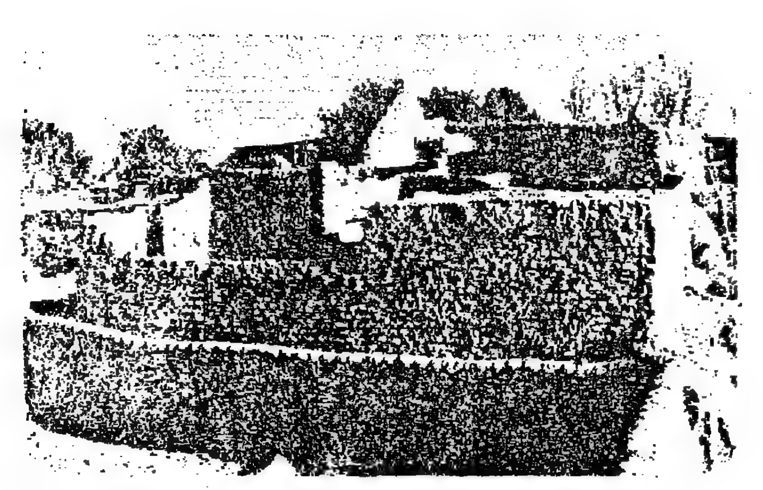
وسُموا بالسلف لتقدمهم عنا في الزمن ، وكان منهجهم أفضل المناهج لأنهم أقرب إلى الإسلام زمناً وفهماً وسلوكاً . فهم أعلم من المتأخرين من المراد من كلام الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ لأنهم تلقوه كابراً عن كابر دون تأويل أو تحريف ولهذا كانوا أولى من غيرهم بالقدوة والاتباع .

وقد ظهر مصطلح السلف حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية ومحاولة الجميع الانتساب إلى السلف الصالح ، فكان أن ظهرت قواعد واضحة للاتجاه السلفي تميزه عن غيره ، وكان من أعظم دعاتها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية .

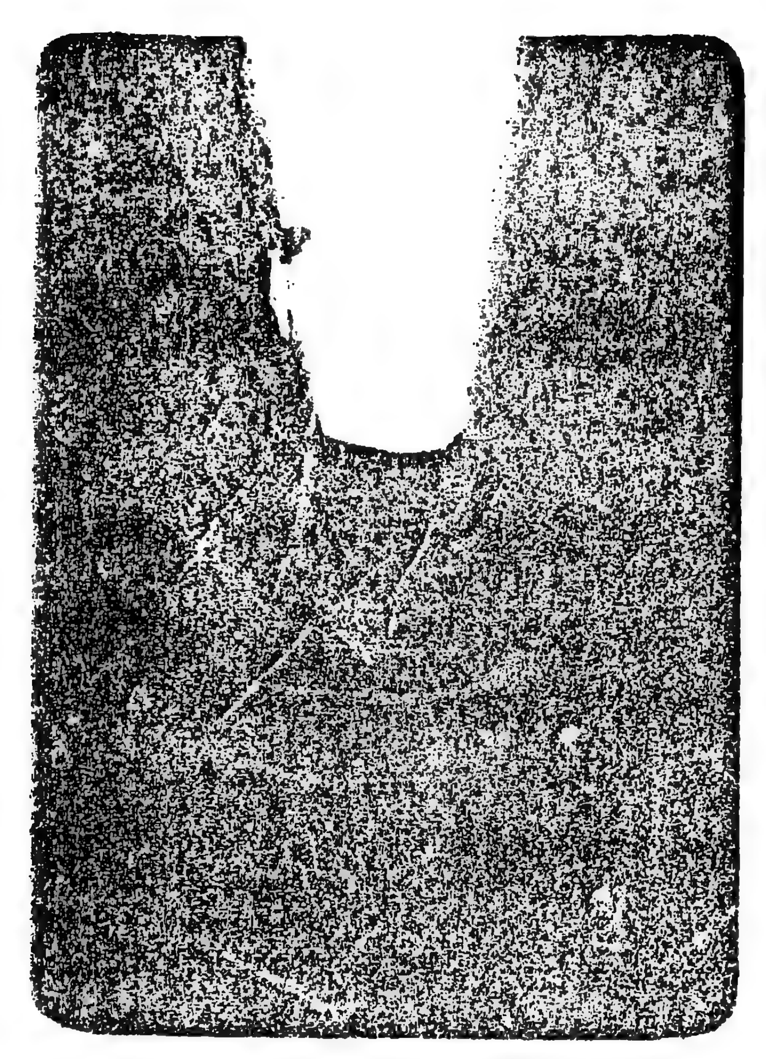
الفصل الرابع

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

المولد والنشأة



● المنزل الذي ولد فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب مؤسس الحركة الوهابية، والذي يعتبر من المعالم الأثرية للقرية.



● منظر من الداخل للمنزل الأثري للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي سنة ١١١٥ هجرية الوافق (١٧٠٣م) في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض ، بينها وبين الرياض مسيرة سبعين كيلومتراً ، أو ما يقارب ذلك من جهة الغرب .

« ويقال أن جده سليمان وكان منسوباً إلى أهل البيت وناشئاً في بني تميم ، قد رأى فيما يرى النائم نارا خرجت من سرته ، فأضاءت البوادي كلها ، فعبر بعضهم هذه الرؤيا بأنه يخرج من صلبه رجل يهدي الأقوام ويؤسس ملكاً كبيراً ، فكان ذلك الرجل هو حفيده محمد بن عبدالوهاب بن سليمان »[١] .

كان سباقاً في عقله ، حاد الذكاء ، قوي الذاكرة ، ميّالاً للمناقشة ، حاد المزاج ، حفظ القرآن الكريم على أبيه قبل بلوغه العشر ، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة .

قال أبوه : ر أيته أهلاً للصلاة بالجماعة ، وزوجته في ذاك العام . وقد اشتهرت أسرته بالعلم والدين فأبوه كان قاضياً ، وجده وأعمامه من العلماء المعروفين .

كان والده أول من فتح قلبه وعقله للدراسة الدينية ، فتلقى عنه حفظ القرآن الكريم ومبادىء الدين ، ودرس عليه الفقه الحنبلي والتفسير والحديث .

وتتلمذ على كتب ابن تيمية في الفقه والعقائد والتفسير والرأي ، وأعجب بها أيما

---

(١) حاضر العالم الإسلامي جزء (٤) ص ١٦١ والمعول عليه في الشرع أن المنامات لا يبنى عليها حكم شرعي. فليتنبه .

إعجاب ، فخطها بيده واعتنى بها ، وحفظها ، ورعاها . وتشرب مبادىء الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية ، وابن عروة الحنبلي وغيرهم من فحول هذا المنهل السلفي .

رحيله لطلب العلم :

بعد بلوغ الشيخ رحمه الله الحلم قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ، وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف ، ثم توجه إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقصد المسجد النبوي وزار إمام المرسلين ﷺ وصحابته الأبرار المخلصين ، ثم أقام بها مدة وأخذ عن علمائها .

وكان فيها إذ ذاك من العلماء العاملين : الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف من آل سيف النجدي ، وأصله من بلد المجمعة .

أخذ عنه الشيخ كثيراً من العلم وأحبه الشيخ عبدالله وكان به حفياً لتوافق أفكارهما في عقيدة التوحيد ، وإنكار ما كان عليه الناس من عقائد باطلة في نجد وسواها ، وقد سأل الشيخ أستاذه مرة عما يُفعل حول قبر الرسول ﷺ من طلب الغوث والشفاعة ؟ فأجابه الشيخ : ﴿ **إن هؤلاء مُتَبَّرٌ ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون** ﴾[1]

وأجازه الشيخ عبدالله بالحديث وبكل مافي ثبت الشيخ عبدالباقي الحنبلي شيخ مشايخ وقته قراءة وعلماً وتعليماً ، وصحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه ، وصحيح مسلم وشروح الصحيحين ، وسنن الترمذي والنسائي والسنن الأخرى ، والمسانيد الكثيرة كمسند الشافعي وموطأ مالك وغيره . . .

كما أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن المحدث الكبير الشيخ محمد حياة السندي ، وتعرّف الأستاذ مالدى تلميذه من مواهب نادرة ونفس تواقة إلى تغيير المنكر

---

(١) سورة الاعراف آية ١٣٩ .

ونشر التوحيد الخالص البعيد عن الشرك ، فأفاد تلميذه وأعطاه ما وسعه من علمه الفياض .

وممن أخذ عنهم الشيخ وانتفع بمصاحبتهم ، الشيخ علي أفندي الداغستاني ، والشيخ إسماعيل العجلوني ، والشيخ عبداللطيف الأحسائي ، والشيخ محمد العفالقي الأحسائي .

رحلته إلى البصرة :

بعد هذه الرحلة الدينية والعلمية والروحية إلى المدينة توجه عائداً إلى قريته العيينة في أقليم نجد ، ومن ثم قصد إلى البصرة بالعراق لينهل من معين علمائها .

وأقام في البصرة نحو أربع سنين اجتمع بعلمائها وأخذ عنهم ما شاء الله من العلم والمعرفة ، واشتهر من شيوخه فيها الشيخ محمد المجموعي الذي قرأ عليه الكثير من النحو واللغة والحديث وإنتفع به كثيراً وكتب عليه بحوثاً مفيدة .

« ورغب كثير من أهل البصرة بصحبة الشيخ وكان جلهم من كبار أعيان البصرة فتحاسد الخلق حينئذ من صحبته حتى قيل بأنه من شدة ازدحام الناس عليه يُنصب له كرسي فيجلس عليه والجماعة تحدق به فيحدث بالأحاديث الغريبة ويفسر بالتفاسير العجيبة وقد أقام على هذا أربع سنين »[1] ثم حقد عليه بعضهم فناله بعض الأذى واضطر للخروج من البصرة في وقت الهاجرة وحر الصيف ماشياً على قدميه ، قاصداً بلدة الزبير ، وكاد يهلك في الطريق من الإعياء والحر الشديد ، فساق الله إليه رجلاً من بلد الزبير يسمى أبا حميدان فحمله على حماره حتى أوصله إلى بلدة الزبير ، حيث توجه من هناك إلى الإحساء ، فنزل عند الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الشافعي وقرأ عنده ما شاء الله وذاكر علماءها في أشياء كثيرة من أصول الدين والعقيدة .

---

(١) لمع الشهاب في سيرة محمد عبدالوهاب ص ١٦ .

نهاية الرحلة[1] :

« كان الشيخ ينوي إتمام رحلته إلى بلاد الشام وغيرها من البلاد ولكن قصرت به النفقة فاضطر لقطع رحلته هذه فتوجه من الإحساء إلى حريملا حيث يقيم والده ـ ذلك أن خلافاً حصل بين والده وأمير العيينة فعزل عن القضاء فاضطر إلى مغادرتها إلى حريملا فنزل الشيخ على والده في بلدته الجديدة سنة ١١٤٠ هـ أو بعدها فلازمه وعكف على كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله . فازداد نوراً وعلماً وبصيرة وعزيمة[2] .

---

(١) يذكر الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي ومحمدالبهي في كتابه الفكر الإسلامي . وأحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح في العصر الحديث وغيرهم : أن الشيخ رحل إلى العراق وسورية وأصفهان وقم وأقام مدة طويلة في هذه البلاد . والذي نرجحه هنا ما ذكره مؤرخو الحركة الوهابية من الكتّاب النجديين الذين نفوا أن تكون رحلته كما ذكر هؤلاء الأفاضل لأن الشيخ أضطر للعودة لقلة النفقة لديه .

(٢) لمع الشهاب في سيرة محمد عبدالوهاب ص ١٩ .

إعلان الدعوة

بدأ الشيخ محمد عبدالوهاب دعوته في حريملا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بالعلم والتعليم والدعوة إلى عقيدة التوحيد الصافية وبيّن للناس مخاطر الشرك الخفي وأنه لايجوز أن يدعى مع الله أحد ، ولا يذبح ولا ينذر إلا له ، وإن عقيدتهم في تلك القبور والأحجار والأشجار من الاستغاثة بها وصرف النذور إليها ، ضلال وشرك ، واستمر على هذه الحال في الدعوة إلى أن مات والده القاضي عبدالوهاب سنة ١١٥٣ هجرية

وبعد وفاة والده حصل من أهل حريملا شر عليه وهمَّ بعض السفلة من العبيد (الحميان) أن يفتكوا به لأنه ينكر عليهم ما يفعلونه من شرور وفساد ويحرض الأمراء على عقوبتهم فتسور بعضهم عليه الدار فشعر بهم بعض الناس فصاحوا بهم وهربوا ، وعند ذلك قرر الشيخ رحمه الله مغادرة حريملا إلى بلدته الأصلية العيينة .

دعوة الشيخ في العيينة :

غادر الشيخ « حريملا » إلى « العيينة » مسقط رأسه وموطن آبائه ، وحاكمها إذ ذاك عثمان بن حمد بن معمَّر ، فنزل فيها ، فتلقاه أميرها ورحب به وأكرمه وقال له : « قم بالدعوة إلى الله ونحن معك وناصروك ، وأظهر له الخير والمحبة والموافقة على دعوته التي شرحها له وبين أصولها . وطلب من الأمير أن ينصرها قائلا له : « إني أرجو أن قمت بنصر « لا إله إلا الله » أن ينصرك الله سبحانه وتعالى وتملك نجد وأعرابها » . فعاهده الأمر على ذلك وقربه منه وأدناه وزوجه إحدى قريباته « الجوهرة » بنت عبدالله ابن معمَّر .

وبدأ الشيخ يشتغل بالتعليم والإرشاد ودعوة الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ، فتوافد عليه الناس والعلماء ، وتسامع به الخلق فاقبلوا عليه من كل صوب فأقام الشرع ونفذ الحدود عندما دخلت عليه امرأة اعترفت بالزنا عدة مرات وهي محصنة ، فسأل عن عقلها فقيل : « إنها عاقلة ولا بأس بها » فلما صممت على الاعتراف ولم ترجع عن اعترافها ،ولم تدع إكراها ولا شبهة أمر الشيخ رحمه الله بأن ترجم ، فرجمت بأمره كونه قاضياً بالعيينة .

واستمر الشيخ في الدعوة والإرشاد في بلدته ، ورأى أن ينتقل إلى التطبيق العملي في دعوته فشرع في إزالة المنكر بالعمل ، وقد ساءه ما رآه من معالم شركية في أصقاع نجد وأركانها ، فكلم الأمير عثمان أن يساعده في هدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه[1] لأنها أسست على غير هدى ، وأن الله جل وعلا لا يرضى بهذا العمل ، والرسول عليه السلام نهى عن ذلك بصريح أقواله ، فوافقه الأمير على ذلك ، فخرج الأمير والشيخ ومعهما / ٦٠٠ / مقاتل لهدم القبة ، ولما وصلوا إلى الجبيلة خرج أهلها لمقاومتهم ومنعهم من هدمها فلما بصروا بالقوة التي معهم تراجعوا عن ذلك .

فلما وصلوا إلى القبة قال عثمان : نحن لا نتعرض لها ، فقال الشيخ : أعطوني الفأس وهدمها بيده حتى ساواها بالأرض ، وزال أثرها إلى اليوم .

ذاع صيت الشيخ بهدمه للقبة ورجمه للمرأة الزانية وبدعوته العظيمة إلى التوحيد ، ومحاربة الشرك والبدعة ، واستمرار هجرة الناس إلى العيينة للانتفاع بعلمه حتى بلغ خبره أمير الاحساء « سليمان بن محمد » من بني خالد ، فخاف من الشيخ إن انتشرت دعوته وكثر أنصاره أن يقوض عرشه ويسلبه ملكه ، فبعث إلى الأمير

---

(١) زيد بن الخطاب رضي الله عنه هو أخو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنهما وكان من جملة الشهداء في قتال مسيلمة الكذاب في عام (١٢) من الهجرة النبوية

عثمان بن معمّر كتاباً جاء فيه : « إن المطوع الذي عندك قد فعل ما فعل ، وقال ما قال ، فإذا وصلك كتابي فاقتله ، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء » وكان للأمير عثمان عطاء من الذهب يأخذه من هذا الأمير ، فعظم عليه الأمر وخاف المخالفة ، فأمر الشيخ بمغادرة العيينة وقال له : « إن الأمير كتب إلينا كذا وكذا وأنه لا يحسن منا أن نقتلك ، وأنا أخاف هذا الأمير ولا نستطيع محاربته.فإذا رأيت أن تخرج عنا فعلت ، فقال له الشيخ : « إن الذي أدعو إليه هو دين الله ، وتحقيق كلمة ـ لا إله إلا الله ـ وتحقيق شهادة ـ أن محمداً رسول الله ـ فمن تمسك بهذا الدين ونصره وصدقه في ذلك نصره الله وأيده وولاه على بلاد أعدائه ، فإن صبرت واستقمت وقبلت هذا الخير فأبشر بأن الله سينصرك ويحميك من هذا البدوي وغيره ، وسوف يوليك الله بلاده وعشيرته » فقال : « أيها الشيخ إنّا لا نستطيع محاربته ولا صبر لنا على مخالفته » ولم تنفع مواعظ الشيخ وحججه مع ابن معمّر فخرج من العيينة ماشياً على الأقدام بعد أن مكث فيها خمس سنين حيث وصلها في سنة ١١٥٣ هـ وتركها في سنة ١١٥٨ هـ .

ويبدو أن الأمير عثمان[١] اضطر لتهجير الشيخ خوفا من بطش سليمان الذي اشتهر أمره بذلك في أنحاء نجد .

يقول صاحب لمع الشهاب في ذلك :

« وكان سليمان آل محمد له يد طولى في أرض العرب سيما في نواحي العراق مما يلي نجد وفي نجد نفسها وكذا الخوالد أهل بأس شديد وخَلْقٍ عديد ،وكان يغزو نجدا إن لم يرضه كل واحد من حكامها بشيء »[٢] وهذا ما أخاف الأمير عثمان والله أعلم .

---

(١) وقد بايع الأمير عثمان الشيخ محمد عبدالوهاب والأمير السعودي وأعلن ولاءه لهم وقاتل معهم فيما بعد ثم قتله ابن سعود سنة ١١٦١ في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة وقد انتدب عدداً من جماعته لقتله بداعي أنهم تحققوا من نقض العهد وموالاة الأعداء ، بعد أن كان على عهد مع الأمير محمد بن سعود .

(٢) لمع الشهاب ص ٣٤ .

الفصل الخامس

ظهور الدعوة وبناء الدولة

ظهور الدعوة وبناء الدولة

يمم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجهه شطر الدرعية ماشيا على الأقدام فوصلها في آخر النهار ، فدخل على شخص من خيارها في أعلى البلد يقال له « محمد بن سويلم العريني » فنزل عليه ، فأوجس الرجل خيفة من أمره فضاقت به الأرض ، ولكن الشيخ طمأنه وهدأ من روعه قائلا له : « أبشر بخير ، وهذا الذي أدعو إليه الناس دين الله ، وسوف يظهره الله » .

ولما علم أخواي الأمير محمد بن سعود وهما: « ثنيان ومشاري » ويبدو أنهما على قناعة مما يدعو إليه الشيخ من التوحيد ، فذهبا إلى زوجة الأمير : « موضي بنت وطبان » وكانت امرأة صالحة عاقلة تتميز بالحكمة والتدبير ، وقالا لها : أخبري محمدا بهذا الرجل وشجعيه على قبول دعوته وحرضيه على مؤازرته ، فلما دخل عليها زوجها الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية وملحقاتها قالت له : أبشر بهذه الغنيمة العظيمة ، هذه غنيمة ساقها الله إليك ، رجل داعية يدعو إلى دين الله وكتابه وسنة رسوله ﷺ ، فيالها من غنيمة ، بادر بقبوله ونصرته ولا تقف في ذلك أبدا ، فقبل الأمير مشورتها ، وسألها هل يدعوه أو يذهب إليه ؟ فأشارت عليه أن يذهب إليه ويقصده في منزله تعظيماً للعلم ودعوة الخير .

عند ذلك ذهب الأمير محمد بن سعود إلى الشيخ في بيت محمد بن سويلم ، فسلم عليه ورحب به وقال له : ياشيخ محمد أبشر بالنصرة والأمن والمساعدة . وأبشر بالعز والتمكين وبلد خير من بلدك .

فرد عليه الشيخ وبشره كذلك بالعز والتمكين وأن يُنصر ويقوى ملكه ، لأن دعوة

(لا إله إلا الله) ما دعا بها أحد إلا أعزه الله وأعلى مقامه .

فقال له الأمير : ياشيخ سأبايعك على دين الله ورسوله ، وعلى الجهاد في سبيل الله ، ولكنني أخشى اذا أيدناك وأظهرك الله على أعداء الإسلام أن تبتغي غير أرضنا ، وأن تنتقل عنا إلى أرض أخرى ، فقال له الشيخ : لا أبايعك على هذا ، أبايعك على أن الدم بالدم والهدم بالهدم ، لا أخرج عن بلادك أبدا ، فبايعه على النصرة وعلى البقاء في البلد ، وأنه يبقى عند الأمير يساعده ويجاهد معه في سبيل الله حتى يظهر دين الله ، وتمت البيعة على ذلك .

لقد بدأ الشيخ دعوته في الدرعية بعد أن تعاقد والأمير محمد بن سعود على أن ينصر كل منهما الآخر، الشيخ بلسانه وبيانه والأمير بجيشه وسنانه وبدأ الشيخ في جمع الأنصار الذين هاجروا إلى الدرعية وأخذ يعدهم لتقبل دعوته وفهم أصولها فأخذ يجمعهم ويقرأ لهم في كتابه [التوحيد] وهو يشتمل على أبواب كثيرة في التوحيد وتحقيقه والشرك وآثاره ، وكان في ذلك لا يهدأ وكان آل سعود يحضرون دروس الشيخ ويواظبون عليها في المسجد والبيت والمجامع الخاصة ثم بدأ الشيخ يعد الكتائب ويساهم في تنظيم العساكر ويشرف بنفسه على ذلك .

تبليغ الناس الدعوة الإسلامية :

بدأ الشيخ دعوته في طورها الجديد بإرشاد الناس ودعوتهم إلى التوحيد الخالص ، وكتابة الكتب والرسائل إلى الأمراء والزعماء يدعوهم فيها إلى مباشرة إزالة المنكر وقمع البدعة ، وإعلان الولاء للحركة التي يدعو إليها ، فبدأ بأهل نجد وكاتب أمراءها وعلماءها ، وكاتب علماء الرياض وأميرها دهام بن دواس ،وكاتب علماء الخرج وأمراءها ، وعلماء بلاد الجنوب والقصيم وحائل ، كما كاتب علماء الاحساء وعلماء الحرمين الشريفين ، وكذلك كاتب العلماء من خارج الجزيرة ، فكاتب علماء مصر

والشام والعراق والهند واليمن ، واستمر على هذه الحال يكتب الرسائل ويدبجها بالحجج والبراهين والأدلة على صحة دعواه ، يدعو إلى إزالة المنكر وهدم قباب القبور وسد ذرائع الشرك وتحقيق العبودية لله وحده جل وعلا .

وهذه رسالة من تلك الرسائل التي تشرح دعوته وتبين قواعدها وأسسها بعثها إلى أهل القصيم يقول فيها :

وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ . وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الأذن والرضى ، كما قال تعالى: **﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**(١) وقال تعالى: **﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾**(٢) وقال تعالى: **﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاءويرضى﴾**(٣) وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : **﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾**(٤).

ثم يبين الصراط والجنة والنار ورؤية الله :

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمر به الناس على قدر أعمالهم . وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان . وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

ويبين إيمانه بالنبي ﷺ والصحابة :

وأؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥
(٣) سورة النجم آية ٢٦
(٤) سورة المدثر آية ٤٨ .

وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملا بقوله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾[1].

ثم يبين كرامة الأولياء :

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء . وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا ، ولا يطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله .

ثم يبين أنه لا يُكَفِّر مسلما بذنب :

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله ﷺ . ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الإسلام .

ثم يبين فرض الجهاد واستمراره :

وأرى الجهاد ماضيا مع كل إمام ، براً كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا ﷺ . إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

---

(١) سورة الحشر آية ١٠

ويبين وجوب طاعة الأئمة :

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، مالم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

وهجر أهل البدع :

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله ، واعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .

والإيمان وشعبه :

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق .

والأمر بالمعروف :

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ماعندي ، والله على مانقول وكيل » .

ولاشك أن هذه الرسالة تعبر أصدق تعبير عن عدة أمور هامة لابد أن يبينها الداعية الحصيف .

فهي تبين أولا : عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب التي يدعو الناس لها والتي هي صلب الدعوة وسببها ، فيبين أنه لم يبتدع فرقه ولا جماعة خارجة عن خط السلف الصالح بل إنه يجدد لتلك الفرقة الناجية وأنه على ماكان عليه النبي ﷺ حين أشار ﷺ للفرقة الناجية بقوله : « هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

وبعد أن بين الإمام محمد بن عبدالوهاب أصول دعوته لخصها وهذبها وبعد أن أتبع ببيان القواعد التي على أساسها يتعامل ويدعو الناس بعد ذلك كله خطى خطوة هامة ، ان دلت على شيء فإنما تدل على حنكة ودربة وفهم لأسس الدعوة الجهادية التي ينتظر منها أن تتعامل مع جماهير الناس على اختلاف مشاربهم وتصوراتهم : فلم يواجه الناس مباشرة فحملهم بالقوة أو بالمغلاة في تسفيه معتقدهم ، رغم أنهم قالوا فيه ما قالوا . . فإنه اتبع أسلوب عرض معتقده ملخصا بشكل جيد مجردا عن النقاش والجدل وبشكل يخاطب تصورهم للإسلام وللواقع ويعرض تصور الشيخ لهذا الإسلام والواقع ، وكان هذا الأسلوب بمثابة خطوة الإنذار والإعلان والبيان قبل المواجهة والصدام وهي خطوة سندها في سنة النبي ﷺ وصحابته من بعده معلوم مشهور ، فلابد من البيان والإعلان قبل الدخول في أي صدام أو في محاولة تغيير ما يحتاج إلى تغيير ، حتى إذا دخل مرحلة الجهاد والنزال تكون حينئذ مرحلة جاءت في حينها ومكانها الذي لا يحمل صاحبها مسؤولية ما يتبع ذلك .

ولقد خطى الإمام محمد بن عبدالوهاب هذه الخطوة وبنجاح ملموس ، ونستطيع إبراز ذلك في اختيار بعض رسائله الهامة التي كان يبعثها إلى من يريد دعوتهم ، وسنختار رسالة من رسائله إلى أهل القصيم حين سألوه عن دعوته
ففي رسالته إلى أهل القصيم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

ثم يبين صفات الله :

ومن الإيمان بالله ، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ. من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، قال : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾[1] .

ثم يبين الفرقة الناجية :

والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين « القدرية » و« الجبرية » ، وهم وسط في باب وعيد الله بين « المرجئة » و« والوعيدية » وهم وسط في باب الإيمان والدين بين « الحرورية » و« المعتزلة » ، وبين « المرجئة » و« الجهمية » ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين « الروافض » و« الخوارج » .

---

(١) سورة الصافات آية ١٨٠

ثم يبين اعتقاده في القرآن :

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد ﷺ .

ثم يبين اعتقاده في القدر :

وأؤمن بأن الله تعالى فعال لما يريد ، ولايكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ولايصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولايتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

واعتقاده في البعث والحساب :

واعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ . مما يكون بعد الموت ، فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾[1] . وتنشر الدواوين ، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

ويبين حوض النبي وشفاعته :

وأؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ . بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

بعد هذا البيان الشافي لعقيدة الشيخ ، وبعد البلاغ الذي قدمه للمسلمين بهذه الرسائل طلب من أتباعه في كل مكان أن يلحقوا به في الإمارة الجديدة «الدرعية» .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٠٢ ـ ١٠٣

فما أن تسامع الناس بطلب الشيخ وأخباره في الدرعية ودعوته إلى الله ، حتى أقبلوا إليه افواجاً وأفراداً ، ينهلون من علمه ويرتشفون من معينه ، فلما ضاقت الدرعية بأرزاق هؤلاء وتبين للشيخ عجز الإمارة عن كفايتهم وجههم إلى الأعمال النافعة التي يعيشون بها ، فصاروا يعملون بما يسد حاجتهم ، ويأخذون العلم عن الشيخ في باقي أوقاتهم ، ولم يطل الأمر على هذه الحال حتى شرع الشيخ في أمر آخر .

تنظيم الكتائب للجهاد :

بدأ الشيخ ، يعاونه الأمير محمد بن سعود بإعداد العدة من الرجال والسلاح للخروج بجموع المجاهدين من الدرعية إلى خارج حدودها لنشر الدعوة الوهابية ، وتثبيت أركانها في الجزيرة العربية وخارجها .

وكان الشيخ يشرف بنفسه على إعداد الرجال ، وتجهيز الجيوش ، وبعث السرايا ، ويستمر مع ذلك على الدرس والتدريس ومكاتبة الناس ، واستقبال الضيوف ، وتوديع الوفود ، فقد جمع الله له العلم والجاه ، والعزة والتمكين بعد جهاد طويل .

وبدأ بعد الإعداد بغزو البلاد المجاورة للدرعية . ثم توسع في الجزيرة العربية وانتقل آخر الأمر إلى الدول المجاورة للجزيرة في العراق والشام .

الفصل السادس

تطورات الحركة الوهابية والدولة السعودية

تطورات الحركة الوهابية والدولة السعودية

تميزت مسيرة حركة الموحدين أو الأخوان كما سموا هم أنفسهم بأدوار مختلفة بين القوة والضعف ، وتألبت عليها قوى متعددة ومختلفة ، فصمدت في وجهها وقدمت الكثير من الضحايا والشهداء ، وكانت الحرب بينها وبين أعدائها سجالا إلى أن انتصرت أخيراً وأسست الدولة السعودية الحاضرة

وقد مرت الدعوة الوهابية بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى : وتبدأ من تاريخ نشوء حكومتهم على يد الأمير محمد بن سعود إلى بدء ولاية الأمير عبدالله بن سعود الكبير من ١١٥٨ هـ - ١٢٣٣هجرية ، الموافق ١٧٢٤ م - ١٨١٤ م .

المرحلة الثانية : وتبدأ من تاريخ ولاية عبدالله بن سعود إلى نهاية الاستيلاء العثماني بواسطة المصريين من ١٢٢٩ هـ إلى ١٢٣٥هـ .

المرحلة الثالثة : وتبدأ من ولاية تركي بن عبدالله إلى أن استولى محمد بن رشيد على البلاد النجدية من ١٢٣٥ هـ - ١٢٨٢ هـ .

المرحلة الرابعة : وتبدأ من قيام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى الزمن الحاضر في شوال ١٣١٩ هـ .

المرحلة الأولى : ١١٥٨ هـ ـ ١٢٢٩ هـ

سبق أن ذكرنا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تعاهد مع أمير الدرعية محمد ابن سعود على المعونة والمآزرة لنشر دعوة التوحيد وطمس معالم الشرك في الجزيرة وخارجها ، والدرعية بلدة صغيرة لايتجاوز عدد أفرادها ألف نسمة وعدد بيوتها لايزيد عن سبعين بيتا يتولى الإمارة عليها آل سعود من أكثر من مئة سنة لقاء مقدار من المال يأخذونه من سكانها ، وقد شرط الأمير على الشيخ بقاءه معهم وأن لا يتعرض إلى هذا الجزء من المال فيحرمه عليهم ورضى الشيخ بالبقاء ، وسأل الله للأمير أن يفتح عليه الفتوح ويستغني عن هذا المال .

ومن هذه القرية المتواضعة بدأت جيوش الإخوان تجهز نفسها لغزو البلاد المجاورة للدرعية ولم تنتظر طويلاً فقد بدأت الجهاد منذ سنة ١١٥٩ هـ وذلك في السنة التالية لوصول الشيخ إلى الدرعية . وكانت أول غزوة لهم مؤلفة من سبعة رجال وقد عادوا سالمين غانمين وفي سنة ١١٦٠ رد أهل الدرعية هجوم دهام بن دواس الذي هاجمهم بأهل الرياض والصمدة وانكشف أهل الدرعية أمام المغير واستشهد في هذه المعركة فيصل وسعود ولدا الأمير محمد بن سعود مما دعا لاشتداد الحرب واستعار أوارها .

وفي سنة ١١٦١هـ حدثت وقعة البنية وحضرها عثمان بن معمرٍ أمير العيينة إلى جانب محمد بن سعود .

وفي سنة١١٦٣هـ جدد الأمير محمد بن سعود هجومه على الرياض واستمرت

المعارك المتلاحقة إلى أن فتحوها سنة ١١٨٧ هـ عندما هاجمها الأمير عبدالعزيز وبذلك انتهت هذه الحرب بين ابن دواس وأمراء البيت السعودي بعد أن دامت مدة سبع وعشرين سنة ذهب ضحيتها من أهل الرياض ٢٨٠٠ قتيل ومن الموحدين (١٧٠٠) قتيل آخر[١] .

ومن اشهر المعارك التي وقعت لفتح الرياض موقعة الشراك أو موقعة دلقة وقد عرفت هذه الواقعة بشدتها وقساوتها .

وفي سنة ١١٧٩ هـ توفي الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن وكان ولي العهد بعده ولده عبدالعزيز فتابع الأمير عبدالعزيز سيرة أبيه في الجهاد والقتال فقاد الغزوات الكثيرة بنفسه كما سير الجحافل الكبيرة بقيادة ولده سعود الذي أصبح ولياً للعهد وبايعه الناس بذلك .

استطاع عبدالعزيز رد الهجوم الكبير الذي قام به أحد أمراء اليمن حسن بن هيبة الله الذي تحالف مع دهام بن دواس أمير الرياض وزعماء الأطراف لقتال عبدالعزيز ، فحاصروا الدرعية ، ولكن الأمير السعودي استطاع كسب أمير اليمن حسن بن هيبة الله بإهدائه الهدايا . مما كان له الأثر في وقف الحرب وعودة أمير اليمن إلى بلده وفشل ابن دواس في نيله من الدرعية .

وقد كثف الأمير عبدالعزيز هجماته على الرياض إلى أن تمكن من احتلالها سنة ١١٨٧ هـ في ربيع الثاني فدخلها وقد هجرها أميرها دهام بن دواس وتركها غالب أهلها حيث فروا في أنحاء نجد طلبا للسلامة .

ومما يذكر أن الأمير عبدالعزيز استطاع اخيرا قتل دهام بن دواس الذي نقض

---

(١) قلب جزيرة العرب ـ للأستاذ فؤاد حمزة ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض ص ٣٩ ـ ٤٢ .

عهده مع السعوديين وارتد عليهم عدة مرات فدارت الدائرة عليه وأودت بحياته .

وفي إمارة عبدالعزيز شهدت حركة الموحدين « الوهابية » ازدهاراً واضحا في أنحاء نجد فقد نازل الأمير سعود في سنة ١١٨٩ هـ أهل بريدة كما سار في سنة ١١٩٥ هـ إلى ناحية الخرج ونازل أهل الدلم وفي سنة ١١٩٨ هـ جند المجاهدين لتأديب أهل الأحساء الذين كثرت منهم العهود المنقوضة ، ورد في سنة ١٢٠١ هـ جيش ثويني ابن عبدالله الذي جمع أهل العراق والبصرة والقبائل العربية الكثيرة وأراد غزو نجد فرده الأمير على أعقابه خائباً .

وقد تصدى عبدالعزيز لأعتى خصومه الأمير غالب شريف الحجاز الذي هاجمه مرات كثيرة ولكنه في كل مرة يعود مدحوراً .

وقد تمكن عبدالعزيز في إمارته صد أعظم الخصوم في نجد حيث تمكن من أمراء بني خالد في الأحساء سنة ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩٢ م واستولى على إمارتهم الأحساء .

وقد حقق الموحدون بالهجوم على بني خالد في الأحساء سنة ١٢٠٦ هـ ـ ١٧٩٢ م / ١٢٠٩هـ ـ ١٧٩٥ م الأهداف التالية :

١ ـ دافع ديني يهدف إلى القضاء على خصوم الوهابية ومعارضيها ، ولاسيما الشيعة الذين ينتشرون في أقليم الأحساء مع الخوارج الاباضية .

٢ ـ دافع اقتصادي يهدف إلى الاستحواذ على واحات الاقليم الخصبة الذي تنتشر فيه المزارع والبساتين وتكثر فيه المياه وتعظم فيه الموانيء التي تستقبل تجارة الهند واليمن .

٣ ـ دافع سياسي يهدف إلى تأديب بعض القبائل النجدية التي فرت إلى الأحساء حيث لقيت الدعم والتأييد من بني خالد[١] .

---

(١) الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر . للدكتور أحمد طربين ص ١١٧ .

وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

وفي نفس العام ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩٢ م الذي تم فيه الإستيلاء على الأحساء توفي إمام الدعوة ووالدها الروحي الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في ٢٩ شوال سنة ١٢٠٦ هـ في الخامسة والتسعين من العمر ، وقد استمر في الجهاد أكثر من خمسين عاماً وقد اكتحلت عيناه برؤية دعوته تملأ الجزيرة العربية وتكتسح معالم الشرك من أرجائها ، وبوفاته خلفه ابنه الشيخ حسين الضرير .

وفي هذه الأثناء حاول الباب العالي في الآستانة وقف الزحف الوهابي فأمر سليمان باشا والي بغداد بتجهيز حملة عليهم فسيّر جيشاً إلى الأحساء بقيادة علي الكيخيا ولكنه رجع خائبا، كما أزمع فتح علي شاه ملك فارس غزوهم في بلادهم ولكنه شُغل بحربه مع الروس كما شُغل والي بغداد بفتنة في بلاد الأكراد .

مداهمة كربلاء :

« وفي سنة ١٨٠٢ ميلادية الموافق ١٢١٦ هجرية ١٨ ذي الحجة داهم (١٥) ألف مقاتل من جيش ابن سعود مدينة كربلاء فذبحوا قسماً من أهلها ، ونهبوا مشهد الحسين ابن علي رضي الله عنه ونهبوا مافيه من النفائس والجواهر وذلك انتقاما لاعتداء قبيلة الخزاعل الشيعية على قافلة وهابية »[1] .

فتح الطائف ومكة :

كانت الحجاز في تلك الفترة بيد أحمد بن سعيد الذي كان يكره العثمانيين بسبب واليهم محمد أبو الذهب حاكم مصر الذي كان قد عزله من شرافة مكة . وولى مكانه غيره . إلا أن أحمد هذا قد قام على خلفه وقتله وتمسك لنفسه بالشرافة ، فالتقى بهذا مع

(١) حاضر العالم الإسلامي جزء (٤) ص ١٦٣ .

السعوديين على خصومة العثمانيين ، فسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ هـ وكانوا قبل ذلك قد منعوا بسبب الدعوة الوهابية ، وبعد ثلاثة أعوام ثار الأشراف في مكة على أحمد بن سعيد وعزلوه وولوا مكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استمر شريفا في مكة ١١٨٦ ـ ١٢٠٢ هـ ، وتوفي الشريف سرور بن مساعد عام ١٢٠٢ هـ فخلفه أخوه عبدالمعين بن مساعد ، ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد حتى اعتزل الأمر ، وتنازل لأخيه الأمير غالب بن مساعد .

ولقد عزم سعود بن عبدالعزيز على فتح مكة فمهد لذلك بحجتين في عهد والده ففي سنة ١٢١٤هـ حج سعود بن عبدالعزيز حجته الأولى وجمع معه غالب أهل نجد والجنوب والأحساء والبوادي وغيرهم وكانت حجة حافلة بالقوة والشوكة بخيلها وجيشها وأثقالها ورجالها وقضوا حجتهم على أحسن الأحوال ولم ينلهم مكروه ورجعوا سالمين ، ثم ، حج حجته الثانية وكانت كالأولى والتقى فيها بالشريف غالب في مكة .

وفي سنة ١٢١٧هـ اختلف الشريف غالب وعثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، وخرج عثمان من مكة ونابذ الشريف ووفد على عبدالعزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وعلى أثر ذلك حصلت حرب بين الشريف غالب وكان في الطائف وقتها وبين عثمان المضايفي استطاع عثمان دخول الطائف وفر غالب إلى مكة . وقرر عبدالعزيز ولاية عثمان المضايفي على الطائف واستعمله أميراً عليها وعلى ما جاورها .

وفي أثر هذه الوقعة أمَّر سعود بن عبدالعزيز على جميع النواحي وسار بجيشه إلى الروضة قرب الزلفي فأقام فيها أياما حتى اجتمع إليه البوادي فرحل منها قاصدا الحجاز . وفر الشريف غالب إلى جدة هو وأتباعه من العساكر وحمل خزائنه وذخائره وبعض أمتاعه وقوته .

دخل سعود مكة بعدما أحرم ومن معه ، فاستولى عليها وأعطى أهلها الأمان

وبـذل فيها من الصدقات والعطاء لأهلها شيئا كثيرا ، فلما فرغ سعود ومن معه من الطواف والسعي فرّق أهل النواحي يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية ، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها ، فأقام فيها أكثر من عشرين يوما ولبث أتباعه في تلك القباب بضعة عشر يوما يهدمون ، ويباكرون إلى هدمها كل يوم ، حتى لم يبق في مكة شيئا من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها ترابا .

ثم رحل سعود من مكة واستعمل عليها أميراً عبدالمعين بن مساعد الشريف واتجه إلى جدة قبل أن يحصنها الشريف غالب ، وحاصرها أياما فوجدها محصنة بسور حصين وخندق دونه ، فرحل منها ورتب جندا من أتباعه في قصر من قصور مكة ورجع قافلا إلى الدرعية .

ولم تهدأ الحروب بين الشريف غالب وآل سعود بل استمرت الحروب مدة طويلة حتى ١٢٢٨ هـ .

فتح سعود الطائف ومكة بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢١٨ هـ الموافق ٣٠ نيسان ١٨٠٣ وفشل في دخول المدينة ، فنصب على مكة الشريف عبدالمعين الذي اختلف مع أخيه الشريف غالب وساعد ابن سعود على دخولها .

« وبدخول الأمير عبدالعزيز وولده سعود إلى البلد الحرام هدم أضرحة الأولياء ، ورفع التحف والنفائس التي كانت مودعة في الحرم الشريف ، وطرد الباعة من صحنه[1] » ثم عاد إلى نجد ولم يبقِ بمكة غير (٢٠٠) رجل من أتباعه فثار بهم أهل مكة وذبحوهم .

---

(١) حاضر العالم الإسلامي جزء ٤ ص ١٦٣

مقتل عبدالعزيز بن سعود :

بينما كان الأمير يصلي العصر طعنه رجل بخنجر في ظهره أرداه قتيلاً وكان ذلك في ١٨ رجب سنة ١٢١٨ هـ (٣ تشرين الثاني ١٨٠٣ م) وقد تم له من العمر (٨٢) سنة وسبب ذلك أن هذا الرجل فقد أولاده الأربعة في كربلاء قتلهم الجيش الوهابي فأراد الانتقام لأولاده ، فذهب إلى ديار ابن سعود وتظاهر بالوهابية وترصد الأمير حتى سنحت له الفرصة فطعن الأمير عبدالعزيز فأرداه قتيلا فقبض عليه وقُتل به ، وبذلك انتقلت الإمارة إلى ابنه سعود ابن عبدالعزيز .

إمارة سعود بن عبدالعزيز :

توافد الناس إلى الأمير وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وقد ألقى الأمير سعود خطبة بليغة في هذه المناسبة ، وقد اقتفى الأمير سعود أثر أبيه في الغزو والفتوحات ، فاستولى على أقليم الحجاز ودخل مكة فبايعه أهلها وصالحه شريفها غالب « وتقدم أهل المدينة إلى الأمير وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وقاموا من تلقاء أنفسهم بهدم جميع القباب والمشاهد الموضوعة على القبور عملا بالحديث النبوي المأثور »[1] ومهما يكن من أمر فقد ذكر كثير من المؤرخين للحركة أن الموحدين عندما دخلوا المدينة أخذوا مافي الحرم النبوي الشريف من حلي ومجوهرات وتحف وباعوها بالمزاد العلني كما هدموا قبور الصحابة ومحوا الآثار الإسلامية طبقاً لمبادئهم التي ينادون بها .

احتلال اليمن ·

وقد سنحت فرصة مواتية للسعوديين سنة ١٢٢٠ هـ لاحتلال اليمن وذلك على

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية للأستاذ صلاح الدين المختار ص ٩٢ .

أثر الصراع الذي نشب بين السنة والشيعة من جهة ، وبين أبناء الإمام علي المنصور على ولاية العهد من جهة ثانية ، يقول المستشرق كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية عن احتلال السعوديين لليمن :

« تعاقب الأئمة الزيود على حكم اليمن التي ظلت مستقلة عن الدولة العثمانية منذ عام ١٦٣٥ م وقام الصراع بين الزيود الشيعة في المرتفعات والشوافع السّنة في تهامة والسواحل ، كما تنافس أبناء الإمام علي المنصور على ولاية العهد .

ولذلك وجدت الدولة الوهابية الباب مفتوحاً أمامها إلى اليمن حيث وجدت لها انصاراً بين علماء الدين في اليمن الذين استنكروا سمة الجمود والتخلف في حكم الأئمة ، عندئذ مدت الدولة السعودية يد العون لهؤلاء . وساعدهم أمير عسير الذي أعلن ولاءه لهم ، فتوغل عبر الحدود اليمنية الشمالية فاستولى على منطقة (أبو عريش) في بلاد تهامة (١٨٠٤م) وبدأ بالاغارة على ميناءي لحية والحديدة ، فلما أحس الإمام بالخطر قام باستعادة ميناء الحديدة ومدينة زبيد وبيت الفقيه ثم طلب النجدة من السلطان العثماني ومن والي مصر محمد علي ضد السعوديين ، ولذلك وجه محمد علي قواته بعد فتح الحجاز (١٨١٣م) نحو عسير ثم إلى اليمن رأعاد إلى الإمام أملاكه (١٨١٩) .

وصول الوهابية إلى الشام :

وفي سنة ١٢٢٦هـ الموافق ١٨٠٧ اجتاح الوهابيون عانة على الفرات ، ثم زحفوا إلى دمشق وعليها يوسف باشا فاضطر إلى التظاهر بقبول دعوتهم ، وأدى إليهم مبلغ من المال شرط ألا يعارضوا قافلة الحج الشامي . وساروا بخفارة القافلة فاختلفوا مع الحجاج وعادت القافلة إلى دمشق وعادوا هم إلى محاصرة دمشق فلم يقدروا عليها فارتحلوا .

يقول صاحب لمع الشهاب : فلما رأى سعود شأنه بالقوة ، أخذ بعد ذلك يغزو نواحي الشام وحلب ويقطع السبل على المترددين إليهما ، ولكنه لم يفتح مدينة ولا قرية . وكان يصل غزوه إلى أرض القادسية من العراق وهكذا استمر أمره بتضييق السبل في أطراف الروم (البلاد غير السعودية)[1] .

ومن هذا يتضح مدى ما وصلت إليه الدولة السعودية في عهد سعود فقد وصلت الشام وهاجمت مدينة المزيريب ودخلت بصرى الشام وهاجمت غوطة دمشق وفرضت سطوتها على العراق وفلسطين وأجزاء أخرى من أرجاء الجزيرة العربية كاليمن وعمان والبحرين ومسقط وغير ذلك .

---

(١) لمع الشهاب ص ٨٨ .

الحركة الوهابية تواجه السلطنة العثمانية

لقد استفزت الحركة الوهابية الدولة العثمانية عندما وصلت فتوحاتها إلى غوطة دمشق وأطراف العراق وتمكنت من احتلال اليمن والسيطرة على أرض الحرمين الشريفين فلما وجدت السلطنة العثمانية أنها مهددة من هذه الحركة التي قامت دعائمها على التوحيد وهدم مظاهر الشرك ، « ورأت في الحركة نذيرا بتقويض سلطانها وخلافتها على بلاد العرب . وقيام إمامة دينية جديدة عربية ناقضة لخلافتها فعهدت لوالي مصر محمد علي بقمعها وعينته واليا على الحجاز بالإضافة إلى ولاية مصر ، وكان شيء من الجفاء بين هذا الوالي وبين الوهابيين لأنهم منعوا المحمل المصري حيث اعتبروه بدعة تحمل طابع الوثنية »[1] .

جهز محمد علي بأمر من السلطان محمود الثاني جيشاً جرارا قوامه عشرة آلاف مقاتل تقريبا وزوده بالسلاح الحديث من البنادق والمدافع ، وعقد لواءه لابنه أحمد طوسون باشا فنزل الجيش الأراضي الحجازية وتصادم مع الجيش الوهابي سنة ١٢٢٦ هـ . فانهزم الجيش المصري في أول لقاء مع جنود الدعوة في معركة الخيف وخلّف وراءه سبعة مدافع غنمتها جيوش الدعوة مع ٤٠٠ قتيل .

وألقى جنود الدعوة بصدورهم أمام اسلحة المصريين الحديثة ، وضربوا مثلا رائعاً للجهاد والكفاح في سبيل الفكرة والذود عن المبدأ ، وأظهروا من الشجاعة والبسالة ما يندر ظهوره في عصرنا الحديث ، فقد جابهوا بسيوفهم ومدافعهم التي غنموها من أعدائهم أقوى الأسلحة وأحدث الجيوش آنذاك لأن محمد علي نظم جيشه على

---

(١) نشأة الحركة العربية الحديثة ـ للأستاذ محمد عزة دروزة ص ٧٢

الطريقة الحديثة واستفاد من الاتصال بأوربا بهذا الشأن .

ولما رأى محمد علي باشا صمود الوهابيين وانكشاح عسكره إلى الوراء ركب بنفسه إلى جدة فنزلها في ١٨ أغسطس عام ١٨١٣ م الموافق ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ، وكاد الوهابيون أن يستردوا الطائف التي احتلها طوسون ، غير أن محمد علي تقدم بنفسه ورد قائد جيوش الدعوة فيصل بن سعود إلى الوراء ودخل مكة دون قتال بدعوة من الشريف غالب الذي نقض عهده مع ابن سعود .

وفاة الأمير سعود :

وفي ١١ جمادي الأولى عام ١٢٢٩هـ (٢٨ ابريل ١٨١٤) توفي الأمير سعود في الدرعية عن عمر مقداره (٦٨) سنة وقد كان رحمه الله شهماً مقداماً عادلاً في الحكومة بين الناس فخلفه ابنه عبدالله ، وبوفاة الأمير سعود تنتهي المرحلة الأولى من حياة الدولة السعودية . وهي تعتبر بحق صفحة مشرقة في الجهاد والكفاح من أجل المبدأ والعقيدة .

المرحلة الثانية ١٢٢٩ هـ - ١٢٣٥ هـ

تبدأ هذه المرحلة بتسلم عبدالله بن سعود مقاليد الإمارة بعد وفاة والده سعود ، ويبدء الجيوش المصرية زحفها من المدينة المنورة وينتهي باحتلال الدرعية وإعدام ا لأمير عبدالله .

وقد بدأت الجيوش المصرية والتركية زحفها من المدينة واستولت على جانب من القصيم ، وجهزت حملة إلى اليمن وبدأت تتقدم في الأراضي السعودية وتحت وطأة الحرب اتفق الأمير عبدالله مع قائد الجيوش المصرية أحمد طوسون بن محمد علي باشا بأن يتم الصلح بينهما وعقد بينهما عهداً عرف باسم (صلح الرس) وينص على مايلي :

١ ـ أن تضع الحرب أوزارها بين الجانبين .
٢ ـ أن ينسحب المصريون من نجد وتبقى لآل سعود يحكمونها .
٣ ـ أن يبقى الحجاز تحت حكم محمد علي يحكمه باسم العثمانيين .
٤ ـ أن لا يُعترض سبيل الحجاج من الطرفين .
٥ ـ أن تسير السابلة آمنة بين الشام والحجاز .

وقد صدّق محمد علي باشا على هذا الصلح وانسحبت الجيوش المصرية من نجد وسافر طوسون إلى مصر .

الانقضاض على الدرعية :

وما هي إلا فترة حتى نقض محمد علي باشا العهد وأرسل جيوشه الجرارة بقيادة ابنه إبراهيم باشا خلفا لأخيه طوسون الذي توفي في شوال سنة ١٢٣١ هـ ، وقد بدأ

ابراهيم حملاته على البلاد النجدية ، فأبحر إلى ينبع وصعد إلى المدينة المنورة ، واستولى على الحجاز بلدة تلـو الأخرى وبدأت إمارة الدرعية تتقلص وتنزوي حتى حاصرها إبراهيم باشا بتاريخ ٦ نيسان ١٨١٦ م الموافق جمادي الأولى ١٢٣١ هـ . وقد جرت بحصارها وقائع ومعارك وأهوال تشيب لهولها الولدان ، وقاد أمراء آل سعود وعلماء آل الشيخ المعارك بأنفسهم وتقدموا إلى ساحة الجهاد بطلا تلو الآخر ، ولم يستسلموا إلا بعد أن تقدمت الجيوش المصرية على جثثهم وجثث أولادهم وحريمهم عند ذلك أضطر الأمير عبدالله للاستسلام وإعلان الصلح وذلك في ٧ من ذي القعدة سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٨١٨ م .

يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب : « وفي الدرعية أبلى الأمراء السعوديون بلاء لايكاد يصدقه العقل . لقد كانوا كبارا وصغاراً شيوخاً وشبابا فرقة من فرق ا لانتحار التي عرفتها الحروب الحديثة ، فما أسلم أحد منهم نفسه ، ولا ولى بظهره ، فهم إما صريع مقتول وإما مثخن بالجراح فتلف أكثره »[1]

مقتل الأمير عبدالله :

وباستسلام الأمير عبدالله انتهت إمارة الدرعية ، وحمل الأمير عبدالله بن سعود والأمراء السعوديون ومن تبقى من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مصر[2]، فأرسل محمد علي باشا الأمير عبدالله إلى الأستانة وأوصى الدولة أن لا تقتله ، ولكن جرى القضاء بخلاف الوصية ، فقُتل في ساحة أيا صوفيا في ١٧ كانون الأول سنة ١٨١٨ م وقتل معه كاتب سره وأمين خزانته .

(١) الدعوة الوهابية ـ لعبدالكريم الخطيب ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق وفيه : أن آل سعود لم يبق منهم أحد في مصر فقد رجعوا فيما بعد . أما آل الشيخ فقد بقي منهم رجل يدعى أحمد عبدالرحمن حقي وهو من سلالة الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب .

وكان عام ١٢٣٣ سنة عصيبة على البلاد والعباد بحيث كثرت فيها الفتن ونهب الأموال وقتل الرجال وقد قال فيه بعض الشعراء :

عـام به النـاس جـالـوا حسبـها جـالـوا ونـال منـا الأعـادي فيـه مـا نـالـوا

قــال الأخـــلاء أرخـــه فـقـلـت لهـــم أرخت قـالـوا بمـاذا قلت « غـربـال »

المرحلة الثالثة ١٢٣٥ هـ - ١٢٨٢ هـ

بعد أن استتب الأمر للمصريين ، وهدأت الحال واستقر الأمر قفل إبراهيم باشا عائداً إلى مصر في صفر/١٢٣٥/ الموافق ١٠ ديسمبر ١٨١٩م ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من الدولة الدينية وعادت إلى نجد الإمارات الصغيرة ورجعت الأحساء إلى كيانها الخاص وبقيت مكة تابعة إسمياً لوالي مصر وعادت عسير إلى حكم الأسرة اليزيدية ثم فجأة ظهر الأمير تركي بن عبدالله ومع ظهور تركي بن عبدالله من مخبأه في البصرة وثورته بمن حوله من النجديين بدأ الدور الثالث من تاريخ الدعوة الوهابية ، إذ ثار تركي وتزعم النجديين وذبح العساكر المصريين في الدرعية وجعل الرياض مقر إمارته وبدأ في تحسينها وتحصينها .

«واستطاع أن يستعيد السلطان السعودي والوهابي على نجد ، ثم أخذ ينشط في توطيد دولته ونشر الدعوة ، حيث استطاع أن يمد سلطانه إلى الأحساء وغيرها ، واتخذ الرياض عاصمة له ، وصار يرسل المنشورات إلى البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم إلى التزام كتاب الله وسنة رسوله ، ويحذرهم من البدع والضلالات والفسق والفجور ويصف نفسه ، بولي أمر المسلمين جميعاً ويتسمى بالإمامة»[1] .

الزحف المصري على نجد مرة أخرى :

أرسل محمد علي والي مصر جيشاً جديداً بقيادة حسين باشا لقتال الإمام تركي فتعقب الوهابيين في صحراء اليمامة وهاجمهم في عاصمتهم وحصونهم ، وجرت معارك

---

(١) نشأة الحركة العربية الحديثة للاستاذ محمد عزة دروزة ص ٧٣ .

دامية وصادامات قاسية استمرت زمنا طويلا انتهت باندحار الجيش المصـري وعودة قائده حسين باشا إلى مصر ، ولكن هجمات الجيوش المصرية والتركية استمرت إلى أمد بعيد ، ورغم ذلك فقد توطدت للإمام تركي بعد عودة حسين باشا إلى مصر واسـتطاع بسط سلطانه على أكـثر أرجاء نجـد وبإمـارته ينتقـل الحكم في آل سعود من سـلالة عبدالعزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبدالله بن محمد وتبقى في هؤلاء إلى يومنا هذا .

واستمر الإمام تركي في الإمارة إلى أن قتله ابن أخته مشاري ابن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود بعد خروجه من صلاة الجمعة وكان ذلك في ذي الحجة ١٢٤٩ هـ .

إمارة فيصل بن تركي :

وبهذا يبدأ دور جديد من الصراع بين أفراد الأسرة السعودية حيث تمكن فيصل ابن تركي من قتل مشاري ومتابعة سيرة أبيه في حروبه وحكومته إلى أن وقعت بينه وبين المصريين الوقائع الشهيرة التي اضطر في نهايتها إلى الصلح والتسليم حيث قبض عليه وأرسل إلى مصر فسجن في قلعـة بقرب السويس .

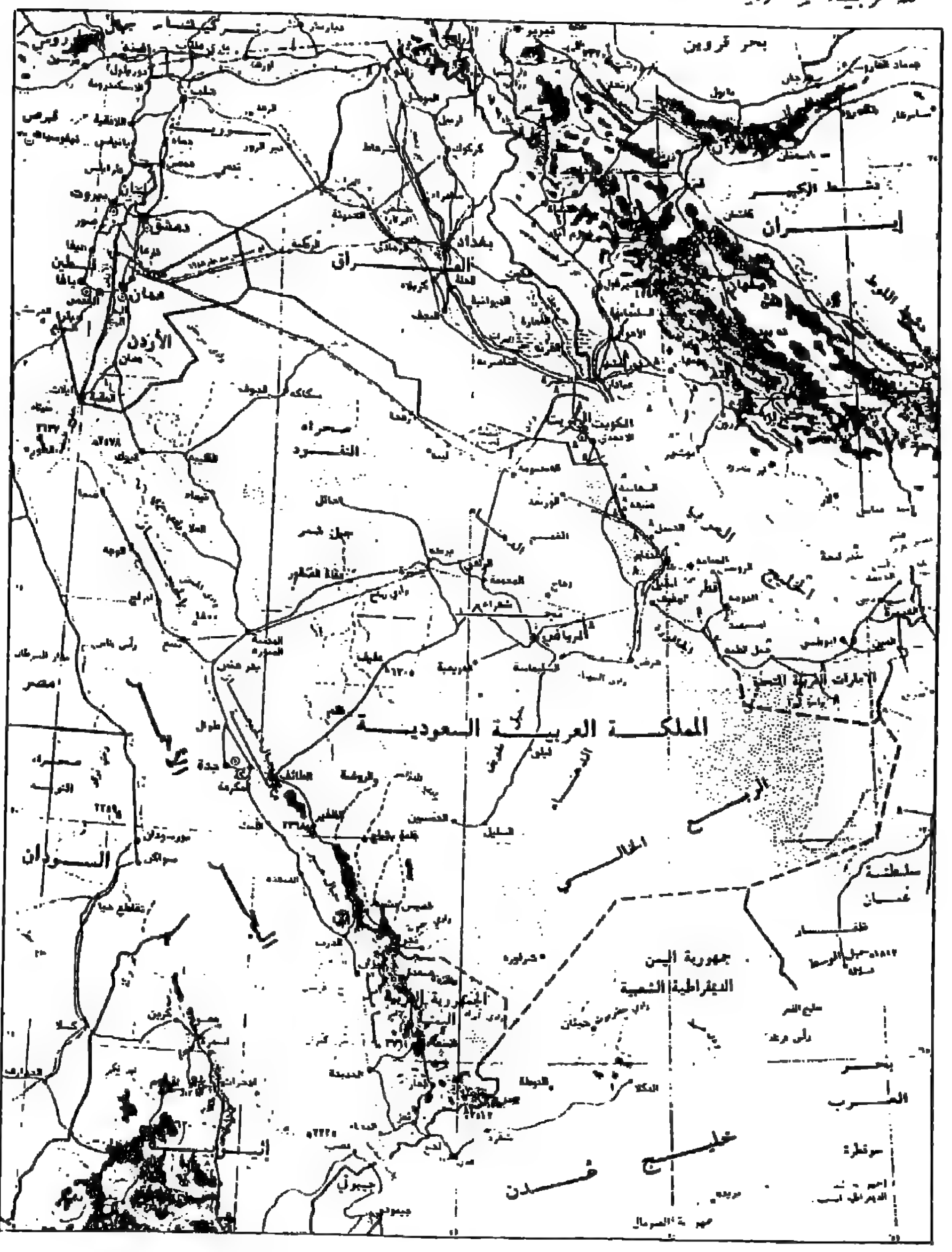
وبعد مضي مايقرب من خمس سنين تسنى لفيصل أن يهرب من محبسه بالقلعة بمصر أوائل إمارة عباس باشا الأول ، فعاد إلى نجد فثار معه الأهالي فاستعاد ملك أبيه ودحر جحافل المصريين وأخرجهم من بلاده بلا عودة ، واستمر بالحكم حتى توفي في العشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ فتسلم الإمارة من بعده ابنه عبدالله وقد جرت بين هذا الأخير والأمير سعود شقيقه خلافات عجلت بإنهاء حكم السعوديين في هذه الفترة إذ دب الخلاف والشقاق بين الأمراء السعوديين فتهيأت الفرصة لخصومهم آل الرشيد بالانقضاض عليهم وانتزاع ملكهم وكادوا يعفون آثارهم .

المرحلة الرابعة
الدولة الإسلامية الحديثة

بعد وفاة فيصل بن تركي بدأ الخلاف على أشده على الإمارة واستطاع ابن الرشيد أن يضم الرياض إلى إمارته وأقام الأمراء عليها من قبله .

وكاد ملك الأسرة السعودية وحلفائها من آل الشيخ ينقرض وينتهي ولكن الله قيض لها الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل الذي ثار سنة ١٩٠٢م وعاونه الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت واستطاع انتزاع الرياض من يد آل الرشيد ، ونشبت الحرب بين الفريقين سجالاً فاستعان ابن الرشيد بالدولة العثمانية فحافظت عليه ولكنها لم تكسر شوكة ابن سعود كذلك .

واستمر الحال على ذلك لا تهدأ بين آل سعود وآل الرشيد ، ومع انشغال الدولة العثمانية بحروب البلقان ضم عبدالعزيز الأحساء والقطيف إلى إمارته واعترفت له الدولة العثمانية بذلك ومنحه السلطان رتبة المشيرية السامية . وآخر الأمر تمكن عبدالعزيز بن عبدالرحمن من الاستيلاء على إمارة حائل وإنهاء حكم آل الرشيد وتلقب الأمير عبدالعزيز بسلطان نجد وقامت بينه وبين ملك الحجاز حروب طويلة إلى أن استطاع بدولته الناشئة بسط نفوذه على أقليم الحجاز وتمت خريطة المملكة على الصورة التي هي عليها اليوم وقد عرفت باسم المملكة العربية السعودية منذ أن أطلق عليها مؤسسها عبدالعزيز هذا الاسم في عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م .



بحر قزوين
إيران
العراق
بغداد
دمشق
الأردن
الكويت
صحراء النفود
المملكة العربية السعودية
الرياض
جدة
الطائف
الربع الخالي
قطر
سلطنة عمان
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
بحر العرب
خليج عدن
سوقطرة
مصر
السودان

الفصل السابع

صفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسماته

صفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وسماته

الصبر في الدعـوة :

من أكثر ما تتميز به شخصية الشيخ محمد بن عبدالوهاب صبره على الدعوة إلى الله ، واستمراريته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رغم كل مالاقاه من الأعداء الذين يتربصون به ، ومن الجهلة وسفلة الناس الذي غاظهم أمره بالمعروف وأخذه لهم بالحزم والشدة والنكير الشديد على أفعالهم الشائنة .

والملفت للنظر إصرار الشيخ على تبليغ دعوة الله إلى الناس رغم كل العقبات التي وقفت في طريقه ، فقدأخرج من بلده ، كما أُخرج من بلاد أخرى ، ولم يتراجع عن دعوته حتى أيده الله بآل سعود فنصروه حتى أعـز دين الله في جزيـرة العرب والعـالم الإسلامي

الزهد في متاع الدنيا :

رضي الشيخ بالعيش القليل والزهد في متاع الدنيا وبهارجها ، وهذا ما هيأ نفسه لتحمل أعباء هذه الدعوة ، فإن النفوس المثقلة بحب الدنيا يصعب عليها تحمل مشاق الدعوة ومتاعبها ، وقد عُرض عليه العمل في التجارة قبل أن يبدأ في دعوته فرفض ذلك بشدة وأجاب صاحبه بقوله :

« إن اشتغلت بالتجارة بقيت بأسر الذل والطمع وفاتني فراغة البال في تحصيل

العلم والعمل ، مع أن الرزاق يهيء الرزق فلا أسعى في طلبه بوجه ملهي ومتعب »[1] .

الكرم والسخاء :

يقول عنه صاحب لمع الشهاب في تأكيد هذا المعنى وبيان كرمه وجوده وأخلاقه مع جواره :

« وكان له بستان نخل وكرم يتعيش به كبقية الناس وكان له بقرات يحلبهن ويجمع سمنهن للبيع وكان يقري الضيف ولم يعهد أنه يوما تغدى أو تعشى في داخل بيته عند عياله إلا نادراً وإنما كان يأخذ سفرته وخوانه يضعها في صهيوة[2] له خارج بيته ، وكان من عادته إذا أضافه أحد ثم أراد الذهاب متعه بشيء قدراً ميسراً ، وهذا لايفعله غيره من أهل تلك البلاد وقيل إنه يوفر حق الجار على نفسه ولم يسمع له شتم لأحد»[3] .

ولذلك فإنه عندما مات لم يترك لورثته شيئاً يذكر من متاع الدنيا رغم أنه كان يتمتع بسلطة قوية في الدولة تمكنه من أخذ مايريد ولكنه يأبى ذلك ويمتنع عنه . يقول صاحب اللمع :

« ولم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار فاكهة ، وترك مائتي كتاب ، فأما الكتب فإنها -باتفاق أولاده أجمع - جُعلت وقفاً لكل من هو عالم يتسلم القضاء والفتيا ، وأما الأرض فقد بقيت غير مقسمة كما هي قبل موته لكن الحاصل منها كل سنة يقسم بين الورثة[4] » .

---

(١) لمع الشهاب ص ٢٦

(٢) الصهيوة : المضيفة

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٤) لمع الشهاب ص ١٠٢

حب الناس واكرامهم :

كان كما قال الأستاذ أحمد بن حجر آل بن علي : « يحب العباد ويغدق عليهم من كرمه ويمدهم ببره وإحسانه ، ويخلص لله في النصح والإرشاد ، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة ، قلما يفتر لسانه من ذكر الله ، وكان يعطي عطاء الواثق بربه ويتحمل الدَّين الكبير لضيوفه ومن سأله ، وكان يخص طلبة العلم بالمحبة الشديدة وينفق عليهم من ماله ويرشدهم على حسب استعدادهم»[1] .

النظر السياسي الثاقب :

وقد كان له نظر سياسي عجيب ، فكان كلما عرض دعوته على أمير بشره بالنصر والتمكين إن هو بلَّغَ كلمة التوحيد وقام بنشرها ، ومما يذكر أنه كان يشرف بنفسه على إعداد المجاهدين وتجهيز الكتائب ، وتسيير المقاتلين ، وله خبرة واسعة في أمور الحرب والسياسة ، فقد أشار على السعوديين أن لايتعرضوا لإقليم الحجاز ، وأن لايغزوا نجران وأن لا يتعرضوا لأهل العراق ، فلما خالفوا أمره وأعرضوا عن رأيه كانت بداية النهاية حيث جنّدت الدولة العثمانية العساكر الكثيرة من العراق ومن الشام ثم من مصر للانتقام من الوهابيين الذين أغاروا على العراق ، وتعرضوا لإقليم الحجاز الذي كان يخضع اسمياً للدولة العثمانية ، كما جند أهل اليمن ونجران عساكر هائلة انتقاما لاخوانهم الذين تعرض لهم الوهابيون .

العلم النافع :

« كان الشيخ رحمه الله تعالى علماً من الأعلام ، ناصراً للسنة ، وقامعاً للبدعة ، خبيراً مطّلعاً ، إماماً في التفسير والحديث والفقه وأصوله وعلوم النحو والصرف والبيان ، عارفا بأصول عقائد الإسلام وفروعها ، كشافاً للمشكلات ، حلالاً

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته ودعوته ص ٣٥

للمعضلات ، فصيح اللسان ، قوي الحجة . مقتدراً على إبراز الأدلة وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها ، تلوح على محياه علامات الصلاح وحسن السيرة وصفاء السريرة .

وكان عالماً بدقائق التفسير والحديث ، وله الخبرة التامة في علله ورجاله غير ملول ولا كسول من التقرير والتحرير والتأليف والتدريس»[1] .

« وصاحب الدعوة يعرض المسائل ويناقشها على ضوء النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، ومذهبه في تفسير الآيات والأحاديث مذهب السلف الأول في الوقوف بالتأويل عند ظاهر النص ، دون تقليب الوجوه للاحتمالات المختلفة ، كثيراً مايقف في تفسير الآية عند ذكرها وسبب نزولها ، فإذا لم يذكر سبب النزول اعتمد على رأي صحابي بصير بتأويل القرآن كابن عباس مثلا .

هذا الأسلوب في التفسير هو أسلم السبل وأقومها في فهم كتاب الله ، وفي استخلاص الحكم الشرعي . فليس وراء الاحتكام إلى صريح النص مذهب مخالف»[2]

ونحب أن نقرر أن الشيخ رحمه الله لفت نظر المسلمين إلى طلب الدليل على ما يعرض لهم من مسائل وقضايا والبحث عن صحة هذا الدليل والتنقيب عن قوته وهذه مأثرة علمية كبيرة تميز بها الشيخ عمن سواه،فهو لم يقل مسألة إلا ودليله واضح وضوح الشمس من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وبذلك ضيع الفرصة على أصحاب الأهواء أن يذهبوا في تفسير المسائل والقضايا مذاهب لاترضي الله ورسوله ، فهو وقّاف عند النص لايتجاوزه إلى غيره في فتاويه ورسائله ودروسه .

وقد اشتهر الشيخ رحمه الله بالزهد والورع والتقوى ، رغم أن الدنيا قد جاءت ساعية إليه ولكنه لم يغتر بها ، ولم يأخذ منها إلا ما يكفيه ويقوم بمؤونة عياله .

---

(١) شيخ محمد بن عبدالوهاب للاستاذ محمد بن حجر آل بن علي ص ٣٥

(٢) الدعوة الوهابية للاستاذ عبدالكريم الخطيب ص ٨٦ .

الفصل الثامن

أبناء الشيخ وتلاميذه

أبناء الشيخ وأحفاده

ذكر في « عنوان المجد » أن الشيخ رحمه الله : قد أخذ عنه العلم عدة من العلماء الأجلاء . منهم أبناؤه الأربعة العلماء والقضاة الفضلاء الذين ورثوا العلوم الشرعية والفنون الأدبية كما درسوا الفروع والأصول وصارت لهم ملكة في المعقول والمنقول وهم : « حسين ، وعبدالله ، وعلي ، وإبراهيم » . وقد كان لكل واحد منهم ـ قرب بيته ـ مدرسة وعنده من طلاب العلوم من أهل الدرعية والغرباء العدد الكثير . فالشيخ حسين رحمه الله آلت إليه الزعامة الدينية بعد وفاة والده وكان ضريراً لايرى وقد اشتهر بعلمه الواسع وفضله العظيم يقدره آل سعود ويحظى باحترام الجميع .

أما عبدالله فقد ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ فنشر العلم واضطلع بالدعوة وتبين الحق إلى جانب عمله في القضاء والافتاء والمشورة للأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود وأبنائه ، وله مؤلفات كثيرة في نقض كلام الشيعة والزيدية ، وله مختصر السيرة وقد نقل إلى مصر بعد أن سقطت الدرعية في يد المصريين وبقي في مصر حتى وافته المنية بها سنة ١٢٤٢هـ رحمه الله .

أما بقية أولاد الشيخ فقد اشتغلوا كذلك بالعلم والفتوى والمناصب الدينية العالية في الدولة الإسلامية .

ولأبناء الشيخ رسائل كثيرة تبين عقيدة السلف وموقف الحركة الوهابية من هذه العقيدة ودور الحركة في محاربة الشرك ومظاهره وواجب المسلمين نحو دينهم وعقيدتهم ، وهي رسائل حافلة بالحجج والبراهين في الرد على أعداء الدعوة ودعاة الباطل .

ولم يقتصر العلم على الشيخ وأبنائه من بعده بل استمر آل الشيخ في تخريج العلماء الأجلاء والمفكرين الفضلاء ، فنبغ من أحفاد الشيخ عدد كبير نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : « الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وصاحب كتاب قرة العيون في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين والكتابان حافلان بعقيدة السلف وبيانها وتوضيحها وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٨٥ هـ » .

ونذكر منهم كذلك : « الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وهو أحد علماء الدعوة المحققين ونوابغهم المعدودين » . ولد هذا العالم الفقيه سنة ١٢٠٠هـ ببلدة الدرعية وتوفي شابا سنة ١٢٣٣هـ قتله ابراهيم باشا بعد سقوط الدرعية بسبب صلابته في الحق وإنكاره المنكر .

وكان رحمه الله آية في العلم ومعرفة الحديث ورجاله وصحيحه وحسنه وضعيفه والفقه والتفسير والنحو وقد شرح كتاب جده التوحيد وسماه « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » وله حاشية على المقنع في الفقه ، وكتاب توفيق الخلاق في أحوال أهل العراق عدا الرسائل الكثيرة رحمه الله .

وآل الشيخ إلى هذا اليوم هم القائمون في المملكة العربية السعودية بالوظائف الدينية من الإفتاء والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورئاسة المعاهد والكليات وحل المشاكل والدفاع عن حوزة الدين ونصر شريعة سيد المرسلين فجزاهم الله أحسن الجزاء ووفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه .

تلاميذ الشيخ محمد عبد الوهاب

وأما التلاميذ والطلاب الذين نهلوا من علم الشيخ وتخرجوا على يده وصاروا قضاة ومفتين فلا تحصيهم الأقلام . ولا بأس أن نذكر عدداً قليلاً :

١ ــ فمنهم الشيخ العالم الجليل حمد بن ناصر بن عثمان بن معمَّر والد مؤلف « منحة القريب » .

٢ ــ والشيخ الزاهد الورع عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري : تولى القضاء إذ ذاك في ناحية الوشم .

٣ ــ والشيخ الفاضل العالم العامل سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم .

٤ ــ والعالم الجليل الشيخ عبدالرحمن بن نامي : تولى القضاء ببلد العبيبنة والاحساء .

٥ ــ والشيخ المفضال أحمد بن راشد العريني القاضي في ناحية (سدير) .

٦ ــ والشيخ عبد العزيز أبو حسين .

٧ ــ والشيخ حسن بن عيدان وكان قاضياً في بلد حريملاء .

٨ ــ والشيخ عبدالعزيز بن سويلم وكان قاضياً في بلد القصيم .

٩ ــ ومن ذرية الشيخ حسن وأشهر الموجودين من نسله في عصرنا الحاضر الشيخ محمد ابن ابراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وهو الآن مفتي المملكة العربية السعودية وإليه مرجع الهيئات الدينية .

١٠ــ وأخوة الشيخ عبداللطيف رئيس المعاهد الدينية والكليات والشيخ عبد الملك رئيس هيئات الأمر بالمعروف بمكة المكرمة . كما أن من أشهر الموجودين من نسل

الشيخ حسين بن محمد الشيخ عمر بن حسن رئيس هيئة الأمر بالمعروف بـ « نجد» والمنطقة الشرقية[1] .

(١) أخذت هذه الترجمة عن كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب للأستاذ أحمد بن حجر آل بن علي .

الفصل التاسع

أقوال العلماء وآراء المستشرقين بدعوة الشيخ

قبول الشيخ في الصالحين وشهادة العلماء له

لقد شرح الله صدور كثير من العلماء لدعوته ، وسروا واستبشروا بطلعته وأثنوا عليه خيراً نثراً ونظماً ، ومنهم من عاصره وسمع به ، ومنهم من جاء بعده وقرأ له وسلك دربه ونهج منهجه ، وكان أول من تأثر به أولاده وأحفاده وأحفادهم إلى يومنا هذا وكذلك تأثر بدعوته أمراء آل سعود ولذلك عملوا على نشرها ، وقد أثنى على الشيخ أولاده وشهدوا له بحسن السيرة وغزارة العلم ، فهذا ابنه عبدالله يقول عنه في رسالة «الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة»:

« وهو الشيخ الإمام العالم ، ذو الفضل والمكارم والأخلاق السنية والأعمال المرضية السنية ، محيي السنة النبوية ، وقامع البدعة الشركية ، محمد بن عبدالوهاب ، أسكنه الله الجنة التي هي أحسن المآب ، وبرد مضجعه وأجزل له الثواب ، فنصر الله به الدين القويم ، وبين بسببه صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وأزال الله به الشرك وعبادة الأوثان من أرض نجد محل الكفر والطغيان ويسر الله كسر تلك الأوثان على يده وأيدي أتباعه من الموحدين ، وحزب الله المفلحين ، وكان قبل ذلك في كل أرض وبلد من أرض نجد أوثان وأشجار تعبد من دون الله وينذر لها ويذبح لها القربان ويعظمونها أعظم من تعظيم الله ، كقبر زيد بن الخطاب في الجبيلة ، وشجرة في قريوة من بلد الدرعية ، وقبر يقال له قبر المغربي ، وأعظم من ذلك عبادتهم تاجا وشمسان مع شهادتهم عليهم بالفجور ، ولكن يزعمون أنهم أولياء لا تضرهم الذنوب ويهابونهم أعظم مما يهابون الله ، ومنهم من يدعو الجن ويذبح لهم ، وفي كل بلد من ذلك شيء عظيم . فأزال الله ذلك كله بشيخ

الإسلام ، وأقام الله به الحجة على أهل زمانه وعرف التوحيد جميع أهل عـدوانه ، وأقروا أنه دين الله ورسوله ، وأن الذي هم عليه الشرك بالله ، ولم يزدهم ذلك إلا بغضاً له وعداوة ، وسعوا في إزالته وعداوته بكل ممكن حسداً له لما أظهر الله الدين على يده ، حتى أظهره الله عليهم ونصره ونصر أتباعه على من خذلهم وخالفهم مع ضعفهم وقلة عددهم وقوة عدوهم وكثرتهم ، وأدخل الله جميع أهـل نجد في الإسـلام ودانوا بـه واجتمعوا عليه حاضرتهم وباديتهم »[1]

ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني ، مؤلف سبل السلام لما بلغته دعوة الشيخ :

وقـد جـاءت الأخبـار عنـه بـأنـه	يعيـد لنـا الشـرع الشـريف بمـا يبـدي
وينشـر جهـراً مـا طـوى كـل جاهـل	ومبتـدع منـه فـوافق مـا عنـدي
ويعمـر أركـان الشـريعـة هـادمـاً	مشـاهد ضـل النـاس فيهـا عن الرشـد
ولـيس لـه ذنـب سـوى إنـه أتى	بتحكيم قـول الله في الحـل والعقـد
ويتبـع أقـوال النـبي محمـد ﷺ	وهـل غيره بـالله في الشـرع من يهـدي

ويقول الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من قرى عسير من أرجوزة طويلة يذكر فيها الشيخ ويثني على دعوته :

وبـعـث الله لـنـا مجـددا	مـن أرض نـجـد عـالمـاً مجـتـهـداً
شـيـخ الهـدى محـمـد المحـمـدي	الحـنـبـلي الأثـري الأحمـدي
فقـام والشـرك الصـريح قـد سـرى	بيـن الـورى وقـد طـغى واعتـكـرا
ولم يـزل يـدعـو إلى ديـن النـبي	لـيس إلى نـفـس دعـا أو مـذهـب

(١) الجامع الفريد ص ٢٠٨ عن رسالة الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة لعبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب .

يعلم الناس معاني أشهد — أن لا إله غير فرد يعبد
محمداً نبيه وعبده — رسوله إليكمو وقصده
أن تعبدوه وحده لا تشركوا — شيئاً به والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الإله أحداً — أشرك بالله ولو محمداً

ولما توفي الشيخ رحمه الله وتسامع العلماء بهذا النبأ المفجع رثاه جمع غفير منهم العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله صاحب كتاب « نيل الأوطار » نقتطف من قصيدة له هذه الأبيات القليلة :

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه — وقام مقامات الهدى بالدلائل
ومن شأنه قمع الضلال ونصره — لمن كان مظلوما وليس بخاذل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً — ولا أشتد للإسلام ركن المعاقل
ولما دعا لله في الخلق صارخاً — صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً — إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي — أتانا بها طه النبي خير قائل

وقد أثنى على الشيخ علماء كثيرون هدى الله قلوبهم لدعوته ، وقاموا على منواله يحاربون الشرك والبدعة ، وينادون في الأمة أن ترجع إلى دين الله كما جاء به الرسول الكريم ﷺ ومن هؤلاء الأعلام السيد محمود شكري الألوسي علامة العراق الذي أثنى على الشيخ ودعوته في كتابه تاريخ نجد فقال :

« والحاصل أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات وأول ما دعا إليه كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة وغير ذلك » .

ومن هؤلاء العلماء الذين تأثروا بدعوة الشيخ ونهجه الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر الذي يقول في كتابه أثر الدعوة الوهابية :

« وإنما كان عمله وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلوهية والعبادة لله وحده ، ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً وحلفاً وتوكلا وطاعة لشرائعه » .

ويقول العلامة محمد رشيد رضا في تعريفه بكتاب « صيانة الإنسان » : « ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الاسلام المتروكة ، وتعظيم حرماته المتهكة المنهوكة فنهضت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث قوة الدولة والحكام وقوة أنصارها من علماء النفاق وقوة العوام الطغام » .

ويقول الأستاذ حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب : « ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ولا آراء خاصة وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح ويخالفون من عداهم » .

ويقول الزركلي في الأعلام الجزء السابع :

« وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله ، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها » .

وقال عنه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ، مؤلف كتاب « صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان » :

« ونهي عن الابتداع في الدين وأمر بمتابعة السلف الماضين في الأصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحدت الحدود الشرعية وعزرت التعازير الدينية وانتصب علم الجهاد وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم » .

ويقول الشيخ على الطنطاوي :

« وأراد الله له الخير فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأمة دينها ، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصف به في تاريخنا .

فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق والألفة بعد الاختلاف والوحدة بعد الانقسام » .

آراء المستشرقين وأقوالهم بدعوة الشيخ

ونحن اذ ننقل أقوال هؤلاء المستشرقين في الشيخ محمد عبدالوهاب ودعوته نوقن أن هؤلاء لا حجية في كلامهم لأن كثيرا منهم إنما كتبوا عن الإسلام وأعلامه بدافع الحقد الذي يغلي في قلوبهم على الإسلام والمسلمين ، ولكننا مع ذلك نستأنس بأقوالهم لبيان مدى ما بلغته دعوة الشيخ من تأثير في الفكر في العالمين الإسلامي والمسيحي ، وليعلم القارىء أن دعوة لا إله إلا الله التي دعا إليها الشيخ قد بلغت آفاق الدنيا وهو ما توقعه الشيخ وبشر به ، وهذه سنة الله في الدعوات والحركات الدينية الراشدة .

يقول المستشرق « سيديو » في تاريخ العرب العام :

« وما لبثت النفوس التي أرهقتها شروح أئمة المسلمين المطولة الغامضة أن رجعت إلى بضعة مبادىء عامة بسيطة واضحة فتقبلت خطط ابن عبدالوهاب الإصلاحية بقبول حسن .

ويقول أيضاً :

ومما عني به على الخصوص إيقاظ روح الجهاد في قومه لما أدى إليه الجهاد من نصر عجيب منذ قرون»[1].

يقول : ستودارد الأمريكي مؤلف كتاب « حاضر العالم الاسلامي » :

« وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدوي

---

(١) سيديو ـ تاريخ العرب العام ـ ترجمة عادل زعيتر .

من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الاصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان الصارخ لهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت وأندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي » .

ويقول بروكلمان ـ في « تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٤ » :

« اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين ، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره وكان ذاك قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليداً للنصرانية »

ويقول وليمز بعد كلام طويل :

« ومهما يكن الخلاف المذهبي بين الوهابيين وغيرهم من المسلمين فإننا نجل الوهابيين فإنهم يدققون في عبادتهم فيحفظون القرآن والحديث ويأتمرون بما جاء في الشريعة الغراء وينهون عما نهى عنه النبي ﷺ فيحرمون على أنفسهم لبس الحرير والتحلي بالذهب وشرب الخمر وتدخين التبغ ويحاربون السحر والميسر وغيرها من الأرجاس »[١]

كما يقول المستشرق « جب الانكليزي » :

« أما في مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به من الفتن ضد التدخلات العدوانية وضد الأصول القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد في الإسلام فقد كانت عاملا مفيدا للخلاص الأبدي وحركة تجديد أخذت تنجح في العالم الإسلامي شيئاً فشيئاً » [٢] .

---

(١) مصطفى الخفناوي في كتابه عن ابن سعود .

(٢) المحمدية للمستشرق جب .

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية ، وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي : « الوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام . والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ويهملون كل ما سواها ـ وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح » .

وبعد : فهذا غيض من فيض مما قيل عن شيخ الموحدين محمد عبدالوهاب رحمه الله ، وإن دل ذلك على شيء فهو إصالة هذا الإسلام ، وتعاقب العلماء المخلصين في هذه الأمة إلى قيام الساعة لأن الله حفظ لها دينها وكتابها ، يجددون لها إسلامها ودينها وقيمها . رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته .

الفصل العاشر

أثر الوهابية في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي

أثر الحركة الوهابية في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي

إذا عرفنا «أن الجزيرة العربية كانت قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها أضعف مؤمن ، إذ كان الشرك قد انتشر في نجد حتى عبدت القباب والأشجار والأحجار ، وعبدت الغيران . وعبد من يدعي الولاية من المعتوهين أو المجانين . واشتهر بها السحرة والكهنة وسؤالهم وتصديقهم وليس هناك منكر إلا من شاء الله وغلب على الناس الإقبال على الدنيا وشهواتها وقل القائم لله والناصر لدين الله وهكذا في الحرمين الشريفين وفي اليمن حيث انتشر ذلك الشرك وبناء القباب على القبور ودعاء الأولياء والاستعانة بهم من دون الله واشتهر دعاء الجن والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم وجعلها في الزوايا من البيوت رجاء نجدتهم وخوف شرهم »[1] .

وإذا علمنا أن الناس اتخذوا من القبور مناسكاً يحجون إليها « فقد كان في نجد كثير من القبور تنسب إلى بعض الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجاتهم ويستغيثون بها لدفع كروبهم . فقد كانوا في الجبيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب ، وفي الدرعية كان قبر لبعض الصحابة كما يزعمون وأغرب من ذلك توسلهم في بلد المنفوحة بفحل النخل واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج»[2].

وإذا عرفنا « أن بلاد نجد وقبائلها لا ضابط لها وليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ـ وكان الحكام يتوزعون على المدن والقرى والبلاد كل حاكم

---

(١) محمد بن عبدالوهاب . للشيخ عبد العزيز بن باز ص ٢٥ .

(٢) الشيخ محمد عبدالوهاب للأستاذ أحمد بن حجر آل بن علي ص ٢٣ .

يستقل ببلدته دون غيره يحكم أهلها بما تأمره به نفسه وشيطانه وهواه « وكان البدو قبائل شتى ترعى في البراري والقفار وحكومتهم بين مشايخهم كل قبيلة تختار لقيادتها من تقدم فيها شجاعة وكرماً ورضوا به وكانوا يتحاكمون في أمورهم وحوادثهم إلى العرف لا إلى الشرع وقد يأخذ المتحاكم إليه ويطلقون عليه « العارفي » قد يأخذ الرشوة لإبطال الحق ونصر الظالم وهم بذلك طواغيت بعيدون عن حكم الشريعة الإسلامية ، وبالجملة فقد كان البدو بعيدين عن متابعة الشرع الشريف »[1] .

وإذا عرفنا أن نجد كانت مقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير ، لاتربطه وجاره أية رابطة . وكان أولئك الأمراء في حروب دائمة لاسيما مع البادية . وكان الأمير على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص ليعتدي على جيرانه اذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد .

إذا عرفنا كل ذلك استبان لنا مدى الأثر الكبير الذي تركته حركة الموحدين في قلب الجزيرة العربية والعالم الإسلامي .

أولا : قضت حركة الموحدين على معالم الشرك وآثار البدع المخالفة لشريعة الإسلام ، والتي كثر انتشارها في الجزيرة العربية ، فهدمت القبور وما أقيم عليها وأزالت الأوثان وقطعت دابر الشرك وتعظيم القبور والنذر لها والدعاء عندها ، وبينت للناس أن التبرك بالصالحين إنما يكون بالاتباع لهم في الحق وليس في الابتداع عند قبورهم ، فردت الناس إلى عبادة الله وحده ، والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة والإستعانة ، وبذلك أظهر الوهابيون دين الله وأرشدوا الناس إلى توحيده ، وانكروا ما أدخله الناس في الدين من بدع وخرافات وألزموا الناس الحق وزجروهم عن الباطل وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر .

---

(١) لمع الشهاب في سيرة محمد عبدالوهاب ص ٣٣

ثانيا : رجع أهل نجد والحجاز والجزيرة بكاملها إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، وذلك على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم في توحيد الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله حسبما أخبر سبحانه عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ . ورجعوا في معتقدهم هذا إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

ثالثا : أستطاعت هذه الحركة توحيد الجزيرة العربية وجمع شتاتها وشعوبها في دولة واحدة لفترة طويلة لازالت حتى اليوم بعد أن كانت أشلاء ممزعة تتوزعها الأهواء والعصبيات يقول الدكتور أحمد طربين :

« وأهمية دولة الموحدين (الوهابيين) ترجع إلى أنها وحدت أقاليم الجزيرة ، فنحن لانعرف أن الجزيرة اتحدت قبل الإسلام على النحو الذي اتحدت به تحت راية الموحدين ، وحتى بعد الإسلام لم تحتفظ الجزيرة بوحدة سياسية بل انقسمت إلى أقسام مختلفة ، وترجع أهميتها أيضا إلى أنها تمثل نوعا من الدول فريدا من بابه ، إذ نقل إلى القرن العشرين قواعد إسلامية قديمة في الحكم »[1] .

فوحدت هذه الدعوة كلمة أهل الجزيرة ، وجمعت شملهم وجعلتهم تحت راية واحدة وأخضعتهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله المجيد ، وسنة رسوله ﷺ .

رابعا : استطاعت حركة الموحدين نشر العلم والمعرفة بين طبقات الشعب المختلفة ، واستطاعت تكوين طبقة ممتازة من علماء الدين ورجال المعرفة فنشرت الحركة في الناس علوم الشريعة المطهرة وآلاتها ، من التفسير والحديث ، والتوحيد ، والفقه ، والسير ، والتاريخ ، والنمو ، وغير ذلك وأصبحت الدرعية كعبة العلوم والمعارف يفد إليها الطلاب من سائر النواحي والأرجاء وانتشر العلم في جميع الطبقات حتى قال

---

(١) الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر . للدكتور أحمد طربين ص ١١٤ .

المؤرخون : « أصبح الـراعي يرعى المواشي في الفيـافي ولوح التعليم في عنقه »

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله :

« وأنه من الحق علينا أن نقول كلمة حق ، وهي أن تعلق هؤلاء بآراء ابن تيمية وتشددهم فيها ، وحرص علمائهم على بثها في نفوسهم كان سببا في أن أوجد فيهم ثقافة مع أميتهم ، ولم تكن هذه الثقافة لغيرهم من سكان الجزيرة العربية ، ولما صار لهم السلطان في أكثر اصقاعها نشروا هذه الثقافة في سكان الحجاز ، وقد كان الجهل بكل شيء مسيطرا عليها ، حتى إذا تفتحت العقول واستيقظت الأفهام اتجهت الهمم لإنشاء المدارس ونشر الثقافة في البلاد العربية»[1] .

خامسا : «عمرت حركة الموحدين المساجد بتدريس الكتـاب العظيم والسنـة المطهرة والتاريخ الإسلامي والعلوم العربية النافعة وصار الناس في مذاكرة وعلم وهدى ودعوة وإرشاد ، وآخرون منهم فيما يتعلق بدنياهم من الزراعة والصناعة وغـير ذلك (علم وعمل ودعوة وإرشاد ودنيا ودين) فهو يتعلم ويذاكر ومع ذلك يعمل في حقله الزراعي أوفي صناعته أوفي تجارته وغير ذلك ، فتارة لدينه وتارة لدنياه ، دعاة إلى الله وموجهون إلى سبيله ، ومع ذلك يشتغلون بأنواع الصناعة الرائجة في بلادهم ويحصلون من ذلك على ما يغنيهم عن خارج بلادهم»[2] وبذلك تحققت للمسجد رسـالته التي أنشيء من أجلها كما كانت على عهد الرسالة الأولى .

سادساً : نشرت هذه الحركة الإسلامية الأمن والطمأنينة في ربوع الجزيرة ، ولم يجرؤ أحد من البدو والحضر أن يسرق شيئا ولو عقال بعير ، ذلك أنهم أجروا الحدود الشرعية على جميع من في مملكتهم « وكانت تحمل الأنثى حليها وتمضي وحدها مسافة

---

(١) ابن تيمية للدكتور محمد أبو زهرة ص ٥٣١ .

(٢) محمد بن عبدالوهاب للشيخ عبدالعزيز بن باز ص ٤١ .

مرحلة أو أكثر أين شاءت ليلا ونهارا ولم يتعرضها أحد قط »[1] .

كما منعت هذه الحركة الأعراب من التعرض للحجاج الوافدين إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج ومنعتهم من أخذ أموال منهم دون وجه حق وبذلك اطمأن الحجاج على انفسهم وأموالهم زيادة على ما يلقوه من إكرام وضيافة لمدة أيام ثلاثة في عاصمة الدعوة الدرعية .

سابعاً : وبقي من آثار هذه الدعوة تلك الدولة السعودية الحاضرة الممتدة في سلطانها من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا . وقد اتخذت المبدأ الوهابي عقيدة لها وتعتبر بحق حارسة له ولها يد طولى في مساعدة المسلمين في بعض البلاد الإسلامية وهي من حيث المبدأ العام لا تحيد عن الكتاب والسنة والتوحيد الخالص وقد حققت لشعوبها الأمن والاستقرار والرفاهية فنشرت العدل والأمن والاطمئنان وعملت جاهدة لنشر العلم والاستزادة من مراكزه ومناهله فأسست المعاهد العلمية والكليات الشرعية والمدارس وأنفقت الأموال الطائلة للمدرسين والدارسين .

« وبالجملة فهي أحسن الدول العربية في تحكيم الشرع ونشر الأمن والعدل والعلم ، ومحاربة أهل البدع والضلال ، والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين بالأخلاق ، والمنتهكين الحرمات[2] » .

---

(١) لمع الشهاب في سيرة محمد عبدالوهاب .

(٢) محمد عبدالوهاب بقلم أحمد بن حجر آل بو علي ص ١٠٢ .

أثر الحركة الوهابية في العالم الإسلامي

لم يقتصر أثر الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وبواديها بل امتد هذا الأثر إلى خارج حدود الجزيرة العربية وذلك عن طريق الحجاج الذي يفدون إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وكان هؤلاء يمرون في طريقهم على الدرعية عاصمة الدعوة حيث يتلقون الضيافة والإكرام وتلقى عليهم مبادىء الدعوة وأسسها وهذه عادة جرت عليها الحركة الوهابية حيث تستضيف وفود الحجاج لمدة ثلاثة أيام يضيفونهم ويكرمونهم ثم يلقنونهم مبادىء الوهابية .

كما كان موسم الحج نفسه ميداناً صالحاً وفرصة طيبة لعرض الدعوة على أكابر الحجاج والعلماء ودعوتهم لتقبلها ونشرها في بلادهم ، وبهذا بدأت الدعوة تنتشر في جميع أقطار المعمورة .

ففي الهند تأثر بالحركة الوهابية كل من شريعة الله وسيد أحمد الذي حج سنة ١٨٢٢ م وقد اعتنق المذهب الوهابي وأعجب به ، فنشره في منطقة البنجاب بمدينة بتين وأنشأ بها شبه دولة تعتمد مبادىء الوهابية في أهدافها ووسائلها ، وامتد سلطانه حتى هدد شمال الهند ، وكان أهم ماقام به أعلانه الحرب على البدع والخرافات . وهاجم الوعاظ والعلماء التقليديين وأعلن الجهاد ضد من لم يعتنق مذهبه ويقبل دعوته ، وإن الهند دار حرب ، واستطاع قض مضاجع الانكليز وجر المتاعب الكثيرة لهم إلى أن تمكنوا من إخضاعه والقضاء على دعوته في العقد الرابع من القرن التاسع عشر . ورغم ذلك فلا زالت للحركة آثار واضحة بين المسلمين هناك إلى يومنا هذا .

وفي سومطرة ابتدأت الدعوة الوهابية سنة ١٨٠٣ على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة ، عندما أعجب بالحركة الوهابية في الحجاز ، فلما عاد إلى موطنه بدأ في الدعوة

والمواجهة مع المسلمين حتى اقتنع عدد كبير منهم بهذه الدعوة فهاجموا سكان الجزيرة من غير المسلمين حتى تضايقت منهم حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٨٢١ فقضت عليهم بعد مناوشات استمرت مالا يقل عن ستة عشر عاما .

وفي اليمن ظهر أحد علمائه ، وإمام أئمته ، الأمام محمد بن علي الشوكاني المولود في ذي القعدة عام ١١٧٢ هـ . والموافق ١٧٦١ في هجرة شوكان باليمن وتوفي في جمادي الآخرة عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٩ م رحمه الله .

حفظ القرآن ، وحفظ كثيرا من المتون في الفقه وأصوله وبرع في الحديث حتى تفوق في كثير من علوم الشريعة واللغة العربية .

وكانت اليمن في عهده تنقسم إلى أقسام كثيرة منها أهل السنة الشافعية والشيعة الزيدية والإسماعيلية الباطنية ، وكانت البلاد ترزح تحت تسلط الأسرة الحاكمة آنذاك وفساد حكمها ، فانتهى المجتمع إلى الانحطاط والإنحلال وانتشرت البدع وكثرت الضلالات فأصبحت القبور تعبد من دون الله ويستشفع بأصحابها ويتقرب بهم إلى الله . وجمد الناس على تقليد الأئمة السابقين دون وعي أو إدراك بل يقودهم إلى ذلك التعصب الأعمى والجمود على القديم .

وفي هذا الجو المدلهم بالظلمات نهض الشوكاني مستلهماً أفكاره من حركة السلف الصالح وملتزما الخط الذي رسمه من قبل ابن تيمية وتابعه عليه الشيخ محمد عبدالوهاب ، فكان صدى للصوت الذي أطلقه الشيخ محمد عبدالوهاب في قلب الجزيرة العربية وفي المجتمع الإسلامي الكبير.

وكان أول ما نادى به الشوكاني الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأحكام الدينية والأقيسة الأصولية . وإعتبار كل ما عدا ذلك من إجماع وقياس عرضة للنقد وقابلا للصحة والخطأ ، وألف كتابه القيم « نيل الأوطار » شارحا فيه كتاب ابن

تيمية « منتقى الأخبار » عارضا الأحـاديث النبويـة ، مجتهدا في فهمهـا وفي استنباط الأحكام الشرعية منها ، ولو خالف المذاهب الأربعة كلها .

كما دعا إلى رفض التقـليد وأثبت بطلانه بكتابه « القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد » وقال في هذا الصدد :

« أما التقليد فهو قبول أقوال الغير من غير حجة ، فمن أين يحصل به علم وليس له مستند إلى قطع ، وهو أيضا في نفسه بدعة محدثة . لأنا نعلم بالقطع أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن في زمانهم وعصورهم مذهب رجل معين يدرك ويقلد ، وإنما كانوا يرجعون إلى الكتاب والسنة . فإن لم يجدوا نظروا إلى ما أجمع عليه الصحابة ، فإن لم يجدوا اجتهدوا واختار بعضهم قول صحابي فرآه الأقوى في دين الله تعالى ، ثم كان القرن الثاني للهجرة وفيه كان أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل . فإن مالكا توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي أبو حنيفة سنة خمسين ومائة . وفي هذه السنة ولد الإمام الشافعي وولد ابن حنبل سنة أربع وستين ومائة ، وكانوا على منهاج من مضى . لم يكن في عصرهم مذهب معين يتدارسونه .

ثم يقول : « وإن حدوث التمذهب بمذهب الأئمة الأربعة إنما كان بعد انقراض الأئمة الأربعة ، وأنهم كانوا على نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وفي عدم الاعتداد به وإن هذه المذاهب إنما أحدثها عوام المقلدة لأنفسهم من دون أن يأذن بها إمام من الأئمة المجتهدين »[1] .

وهو إذ يهاجم التقليد الأعمى بغير دليل ، يدعو في نفس الوقت إلى فتح باب الإجتهاد لمسايرة الشريعة لما جد من محدثات الأمور وحتى يتحرر العقل الانساني من التبعات للآخرين إلا ما وافق الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) أخذت هذه النقول من كتاب الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة للدكتور علي المحافظة ص ٤٦ .

وقد ألف الشوكاني كتبـاً عديدة بلغت حوالي مئة كتاب ومن أهمها :

١ ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .

٢ ــ نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (أربعة أجزاء) وقد اعتمد على هذه الأحاديث في معظم إجتهاداته وآرائه وفتاويه .

٣ ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ويحتوي على تراجم أعيان العلماء في شتى البلاد الإسلامية ، الذين لم يتقيدوا بالتقليد ويقع في جزأين .

٤ ــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول .

٥ ــ الدرر البهية وشرحها الدراري المضيئة .

٦ ــ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .

٧ ــ تحفة الذاكرين وشرح عدة الحصن الحصين للإمام الجزري .

٨ ــ قطر الولي على حديث الـولي وعنوانه بعد التحقيق والطبع « ولاية الله والطريق إليها »

٩ ــ اتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر .

١٠ ــ تنبيه الأعلان على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام وعنوانه بعـد التحقيق والطبع « كشف الشبهات عن المشتبهات».

١١ ــ الدر النضيد في إخلاص التوحيد .

١٢ ــ القول المفيد في حكم التقليد .

١٣ ــ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهاق « وهو آخر كتبه وأخطرها إذ ناقش فيه امورا هامة مثل شروط الإمامة وشروط الاجتهاد ، وبين بطلان كثير من الآراء المتداولة حول هذين الموضوعين وأثبت بطلان بعض العادات والبدع التي دخلت العبادة مثل إدخال عبارة« حي على خير العمل » في الآذان والجمع بين الصلاتين

بغير عذر ، وعدم رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام ، وتحريم قول آمين خلف الإمام بعد قراءة الفاتحة»[1] .

أما في السودان فقد كان الداعية هو الشيخ عثمان بن فودي أحد أفراد قبيلة الفولا وهي من قبائل رعاة السودانيين فإنه بعد التقائه بعلماء الدعوة في موسم الحج ، وبعد اعتناقه المبادىء التي دعا إليها الشيخ عاد إلى بلاده وأخذ يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التي كانت لاتزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية في نفوس السودانيين ، وأخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة ويذيع مبادىء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فاستطاع أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين المتين بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة .

وبعد ذلك ابتدأ حروبه سنة ١٨٠٢م ضد قبائل الهوسا الوثنية وقضى على مملكة غبر التي كانت تقع على مجرى نهر النيجر .

وما مضت سنتان حتى أقام عثمان مملكة (سوكونو) في السودان على أساس من الدعوة الوهابية ومدت رواقها على جميع الأقطار الواقعة بين (تمبكتو) وبحيرة (تشاد) وبقيت محافظة على استقلالها ووحدتها نحو قرن حتى استطاع الاستعمار الأوروبي أن يقضي على ماكان لها من استقلال ووحدة .

كما ظهر في السودان الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بالمهدي وقد تأثر بالحركة الوهابية نوعا ما من التأثر .

وفي ليبيا ظهرت الحركة السنوسية وتنسب إلى السنوسي الكبير محمد بن علي السنوسي الخطابي الأدريسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر .

---

(١) الإتجاهات الفكرية عند العرب ص ٤٩ .

ولد السنوسي في قرية الواسطة عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م قرب بلدة مستغانم في الجزائر ثم تعلم في مستغانم ومازونة وانتقل إلى جامع القرويين في فاس ، وهو أعظم مركز للعلوم الإسلامية في محيطه ، وقد تتلمذ في هذا الجامع على السيد محمد الغندور وفي هذا الجامع درس الفقه المالكي ووجه إهتمامه كذلك لدراسة الصوفية . واستطاع خلال إقامته في الحجاز انشاء زاويته الأولى في جبل أبي قبيس عام ١٨٣٧م واتبعها بزوايا عدة في الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة وينبع ثم غادر الحجاز بعد ذلك وقرر الاقامة نهائيا في ليبيا ـ وأنشأ عام ١٨٤٣م « الزاوية البيضاء » في الجبل الأخضر فكانت أول زاوية سنوسية في شمال أفريقيا .

زار الحجاز مرة أخرى ثم عاد منها إلى ليبيا وفيها قرر نقل مركز دعوته من الزاوية البيضاء فأسس على حافة الجبل الأخضر من ناحية الجنوب زاوية العزمان ثم انتقل نهائيا إلى واحة الجغبوب وأنشأ فيها زاويته بعيداً عن السلطة الفرنسية في الجزائر والحكومة المصرية والحكومة العثمانية التي أعادت احتلال ولاية طرابلس الغرب عام ١٨٣٤ آخذا بعين الاعتبار توسط الجغبوب وسهولة اتصالها ببرقة وطرابلس والسودان الغربي إضافة إلى أنها ملتقى لحجاج شمال أفريقيا والقوافل التجارية بين الصحراء الكبرى والسودان وزاويته هذه هي الزاوية النموذجية للحركة السنوسية من الوجهة الفكرية والتطبيقية حيث أقيمت فيها مدرسة دينية كبيرة يتعلم فيها الأتباع أصول الدعوة ويتخرجون منها لنشرها في البلاد المجاورة .

توفي السنوسي الكبير في الجغبوب سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٥م ودفن فيها .

أهم مؤلفاته :

للسنوسي الكبير ثلاثة كتب يمكن أن تصور الأسس التي قامت عليها الحركة السنوسية :الأول كتاب « إيقاظ الوسنان » تحدث فيه :

١ ـ عن وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة وأن دلالتهما واحدة ووجوب اتباعهما وتقديمهما على رأي كل مجتهد .

٢ ـ عن رأيه في العمل بالحديث .

٣ ـ القول بالاجتهاد ونفي التقليد والجمود .

والثاني كتاب المسائل العشر . وهو الكتاب المعروف بكتاب بغية المقاصد وخلاصة المراصد يذكر فيه :

١ ـ إن هدى الأئمة الراشدين في الفتوى والمذاهب والقضاء هو لفهم المسلمين في القرآن والسنة .

٢ ـ إن السلوك الخلقي السليم هو التقيد بالكتاب والسنة .

والثالث كتاب « السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين » تحدث فيه :

١ ـ عن الطرق الصوفية عامة .

٢ ـ وصف الطريق المثلى التي رضي بها والتي عرفت بنسبتها إليه .

الفصل الحادي عشر

مفهوم العقيدة والشريعة
عند الوهابيين

مفهوم العقيدة الإسلامية عند الوهابيين

إن أهم مسألة شغلت تفكير الشيخ محمد عبدالوهاب خلال حياته هي مسألة التوحيد وإفراد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده ، نتيجة ما شاهده أثناء تجواله في طلب العلم من انكباب المسلمين على قبور الأولياء والصالحين وتمسحهم بها وتشفعهم بأصحابها وغير ذلك من مظاهر الشرك ، كطلب قضاء الحاجات من الأشجار والغيران وغير ذلك .

يقول الأستاذ أحمد أمين :

« وأهم مسألة شغلت ذهنه في درسه ورحلاته مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام ، والتي تبلورت في « لا إله إلا الله » والتي تميز الإسلام بها عما عداه والتي دعا إليها « محمد ﷺ » ، فلا أصنام ولا أوثان ولا عبادة آباء وأجداد ولا أحبار ولا نحو ذلك»[١] .

وقد أدرك الشيخ محمد عبدالوهاب أن هذه المظاهر الشركية الموجودة في المجتمع الإسلامي سببها ضعف عقيدة المسلمين ، وعدم تمكنها من نفوسهم ، ولذلك فإن هذه الأمة لايصلحها إلا عودتها إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وفهم منهاج القرآن في العقيدة والسلوك ، وتعانق السلوك مع مفهوم التوحيد الذي جاء به الإسلام والمتمثل في كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فهذه الكلمة إنما جاءت لتنفي كل الآلهة

---

(١) زعماء الاصلاح الاجتماعي في العصر الحديث ص ١٢

والأرباب والأنداد وتثبت إلها واحداً لاشريك له في ذاته وصفاته وعبادته ، فكما يجب أن لا نجعل له شريكاً في ذاته يجب أن لانجعل له شريكا في عبادته ، ومن هنا فقد ألح الشيخ في كتبه ورسائله على هذا المعنى وركز مفهوم الدعوة على هذا الأساس .

ومن الكتب والرسائل التي كتبها الشيخ وقد ضمنها آراءه في العقيدة والإصلاح الديني مايلي :

١ ــ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .
٢ ــ كتاب الكبائر .
٣ ــ كتاب كشف الشبهات
٤ ــ كتاب السيرة المختصرة
٥ ــ كتاب السيرة المطولة
٦ ــ مختصر الهدي النبوي
٧ ــ مختصر الشرح الكبير
٨ ــ مختصر الانصاف
٩ ــ أصول الإيمان .
١٠ ــ مختصر زاد المعاد .
١١ ــ مسائل الجاهلية .

وكتب أخرى ورسائل متعددة .

والجدير بالذكر أن كتب الشيخ ورسائله مهما تعددت مناحيها وكثرت أعدادها فهي تدور حول محور واحد تكاد لا تفارقه وهو التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده .

وقد تأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بابن تيمية الذي يعتبر بحق إمام المنهج السلفي ، والذي عاش في القرن السابع الهجري ، وقد وجدت بعض رسائله مخطوطة بيد الشيخ في المتحف البريطاني .

كما تأثر بشكل واضح بتلميذ ابن تيمية الحافظ ابن القيم الجوزية الذي يعتبر وارث علوم ابن تيمية وشارحها .

يقول المستشرق كارل بروكلمان :

« لئن كان معاصرو ابن تيمية قد حاولوا قمع تعاليمه بالقوة ، فقد كتب لها برغم ذلك أن تبقى حية في دوائر أتباعه المحدودة لتستمد منها الحركة الوهابية حافزها بعد أربعمائة من السنين ، ولتفيد منها بالتالي حركة التجدد الإسلامية في الجيل الحاضر» .

ويقول الأستاذ أحمد أمين :

« اقتفى الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته وتعاليمه عالما كبيرا ظهر في القرن السابع الهجري في عهد السلطان الناصر هو ابن تيمية وفي المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبدالوهاب ، فكان ابن تيمية إمامه ومرشده وباعث تفكيره ، والموحي إليه بالاجتهاد والدعوة إلى الإصلاح »[1] .

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث .

أقســام التوحيد

يتقسم التوحيد عند الوهابيين إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيد الربوبية

يرى دعاة الحركة السلفية أن توحيد الربوبية يستوي فيه المؤمن والكافر ، ويقر به المسلم والمشـرك على حـد سواء وأنـه لايكفي لدخـول الإسلام

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى عبدالله بن سحيم المطوع من أهل المجمعة في تعريف التوحيد :

« التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم وهذا حق لابد منه ، لكن لايُدخل الرجل في الإسلام ، لأن أكثر الناس مقرون به قال تعالى : **﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميّت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾**[1] وإن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ كذلك :

« أما توحيد الربوبية : فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ؛ ولم

(١) سورة يونس آية ٣١

يدخلهم في الإسلام ، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيده بفعله تعالى»[1] .

« فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ ، عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد »[2] .

---

(١) الجامع الفريد ص ٣٤٠

(٢) كشف الشبهات في التوحيد ص ٣

الثاني : توحيد الإلوهية :

أما هذا النوع من التوحيد فهو الذي جاء به الإسلام ودعا الله إليه وهو إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه ، وهو بالتالي دين الرسل جميعهم إنما جاءوا أقوامهم بهذا التوحيد ليخلصوا لله في طاعته فلايشركون به أحداً .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالة موجهة إلى عبدالرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق :

« فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم إفراد الله بالعبادة كلها ، ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرهم » .

ويقول أيضا :

« اعلم ـ رحمك الله ـ أن (التوحيد) هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين . أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله ، لايصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء

المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لاشريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولايدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره»[1] .

ويقول الأمير فيصل بن تركي آل سعود في ذلك :

« ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة ، وهي دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين وهو مبدأ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الاخلاص « شهادة أن لا إله إلا الله فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾ »[2] .

ويرى دعاة الحركة الوهابية أن هذا الخلاف حول معنى التوحيد قد وقع منذ قديم الدهر يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ :

« وأما توحيد الألوهية : فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه ، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد : كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة ، والرهبة والإنابة »[3]

ويرى دعاة الحركة السلفية (الوهابية) أن توحيد الألوهية يتمثل في كلمة التوحيد التي جاء بها الاسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العبادة وخالقهم ، وهو وحده الذي يجب أن نتوجه إليه بالعبادة ، فتوحيد العبادة قد تبلور في « لا إله إلا الله » وهذه الكلمة العظيمة التي شهد الله بها لنفسه ، وشهد بها له ملائكته وأولوا العلم

---

(١) كشف الشبهات في التوحيد ص ٣ ط الدار السلفية بالقاهرة .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٣٢٣ والآية من سورة الزمر آية ٢ ـ ٣ .

(٣) الجامع الفريد ص ٣٤٠ .

من خلقه ، كما قال تعـالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[1] فلا « إله إلا الله » وهي كلمة الإسلام لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل به ، وهي كلمة الإخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة :

الأول : العلم بمعناها نفيا وإثباتا .

الثاني : اليقين المنافي للشك وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب .

الثالث : الإخلاص المنافي للشرك .

الرابع : الصدق المنافي للكذب والمانع من النفاق .

الخامس : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك .

السـادس : الانقياد بحقـوقها ، وهي الأعمـال الواجبـة إخلاصـا لله وطلبـا لمرضاته .

السابع : القبول المنافي للرد فقد يقولها من يعرفها ، لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً كما هو واقع من كثير .[2]

ولذلك فهم يرون أن كثيرا من الناس يخطئون في فهمهم أحاديث « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » فلابد من تصور سليم للمراد من هذه الأحاديث والقيام بحقها وتجريد العبادة لله وحده .

يقول الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ في كتاب فتح المجيد :

كثير من الناس يخطئون في فهم أحاديث « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »

---

(١) سورة آل عمران آية ٣ .

(٢) الجامع الفريد ص ٣٥٠ للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ .

فيظنون بأن التلفظ بها يكفي وحده للنجاة من النار ودخول الجنة وليس كذلك ، فإن من يظن ذلك من المغرورين لم يفهم « لا إله إلا الله » لأنه لم يتدبرها ، إذ أن حقيقة معناها : البراءة من كل معبود والتعهد بتجريد كل أنواع العبادة لله سبحانه وحده ، والقيام بها على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، فمن لم يقم بحقها من العبادة ، أو قام ببعض أنواع العبادة ثم عبد مع الله غيره من دعاة الأولياء والصالحين والنذر لهم ونحو ذلك فإنه يكون هادما لها ، فلا تنفعــه دعواه ولا تغني عنه شيئا ، ولو كان مجرد قولها كافيا لم يقع من المشركين ما وقـع من محاربة الرسول ﷺ ومعاداته ، قال الله تعـالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾[1] وقال: ﴿ ألا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾[2] فمن لم يوف بها ويعمـل بمقتضاها لاينفعه التلفظ . وكل من جعل شيئا من أنواع العبادة لغير الله فهو إما جاهل بمعنـاها أو كـاذب في ادعائـه الايمان . وأولئـك هم المغرورون الأخسـرون أعـمالاً ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ [3]

وهذا المعنى نفسه الذي أرادته الحركة الوهابية من التوحيد وفي فهم لا إله إلا الله هو نفسه الذي استخلصه ابن تيمية وبينه في رسائله .

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية :«وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول مايؤمر به الخلق : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فبذلك يصير الكافر مسلما ، والعدو وليا ، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال ، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان ، وإن قال بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان قال : وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء»[4]

---

(١) سورة محمد آية ١٩ .

(٢) سورة الزخرف آية ٨٦

(٣) فتح المجيد ص ٦١ والآية في سورة الكهف آية ١٠٤ .

(٤) فتح المجيد ص ٨٩ .

من هذا يتضح معنى كلمة التوحيد عند الوهابية وتوافق هذا المعنى مع فهم ابن تيمية رحمه الله وهو بالتالي تصور السلف الصالح وعقيدتهم التي دخلوا بها الإسلام .

وعلى ضوء هذا التصور لتوحيد الله سبحانه وتعالى في العبادة وإفراده في الألوهية دعت الوهابية إلى أفراد الله بالعبودية واخلاص التوحيد له ورد كل ما ينافي ذلك من بدع ومحدثات أمور من ذلك :

١ ــ الاستغاثة والاستعانة بغير الله .

٢ ــ التوسل بالمشايخ والتمسح بقبورهم .

٣ ــ رفع القبور وبناء القباب عليها .

٤ ــ شد الرحال لمجرد زيارة القبور وتعظيمها .

الأمور المنافية للإخلاص بالعبادة

١ ــ الاستغاثة والاستعانة بغير الله :

يرى الشيخ محمد عبد الوهاب وعلماء الحركة الوهابية أن تحقيق التوحيد وإخلاص العبودية لله لايتم إلا بتجريد الإخلاص لله فلا يجوز أن يسأل العبد مالا يقدر عليه من أمور الدنيا التي لايقدر عليها إلا الله سبحانه ، وإن سؤاله ذلك شرك محض سواء كان صالحا أو نبيا أو ملكا مقربا فإن ذلك لايجوز فهذا الشيخ محمد عبدالوهاب يقول في رسالته إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم : « والنهي عن الشرك وهو أن لايدعى أحد من دون الله من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم ، فمن ذلك أنه لايسجد إلا لله ولايركع إلا له ولا يدعى بكشف الضر إلا هو ولا لجلب الخير إلا هو ولاينذر إلا له ، ولايحلف إلا به ، ولايذبح إلا له ، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لاشريك له . . »

ويقول في رسالته إلى شيخ الركب المغربي في موسم الحج بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« فمعلوم ما عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الاشراك بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لايقدر عليها إلا رب السماوات ، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله .

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها ، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك لايقبل من العمل إلا ماكان خالصا : كما قال الله : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون إن الله لايهدي من هو كاذب كفار ﴾[1]

جاء في فتح المجيد :

« لا يجوز أن يسأل العبد إلا مايقدر عليه من أمور الدنيا ، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل مالايقدر عليه إلا الله تعالى ، فلايجوز أن يطلب إلا منه تعالى ، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بتجريد التوحيد ، والاخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به ، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته ولا قرابته إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمه أبي طالب معتبر .

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيرهم ، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[2] أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين ، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين ، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين ، لا باتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكاً بالله وعبادة لغير الله ، وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده كما قال تعالى : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ، ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم

---

(١) الدعوة الوهابية للاستاذ عبدالكريم الخطيب ص ٩٠ والآية من سورة الزمر آية ٢ ـ ٣ .

(٢) سورة الأعراف اية ٣٠

ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾[1] .

٢ ـ التوسل بالمشايخ والتمسح بقبورهم :

ومن هذا المبدأ هاجمت الوهابية العادات التي كانت منتشرة في العالم العربي مثل التبرك بالأولياء والتمسح بالمشايخ ، والتقرب إلى الله بالتبرك بقبور الصالحين واعتبرت هذه العادات شركاً .

« وأما ما أدعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه :

منها : « أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ ، لافي حياته ولابعد موته ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأفضل الصحابة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد له بالجنة ، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة ، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وأهل الأسوة ، فلا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لايصلح أن يشاركه فيها غيره»[2]

وبما أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وحده ، فإن المسلمين قد أشركوا معه سواه عندما يستغيثون بالرسول والأولياء والصالحين ، ويستشفعون بهم ويتمسحون بقبورهم ، فهذا كله حرام لا يجوز وهو مما ابتدع بعد رسول الله ﷺ وهو رد على صاحبه وموجب لدخول النار .

---

(١) فتح المجيد ص ١٩٦ والآية من سورة المائدة آية ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) فتح المجيد ص ١٤٦

٣ ـ رفع القبور وبناء القباب عليها :

« لقد دعا الشيخ إلى رد البدع والتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله وحده ، لا إلى المشايخ والأولياء والأضرحة ، ولا بوساطة توسل ولا شفاعة ، وزيارة القبور إن كانت فللعظة والاعتبار لا للتوسل والاستشفاع ، فهم لايملكون شيئاً بجانب الله وقوانينه الثابتة التي لا تتخلف والتي نظَّم الله بها كونه ، فالذبح للقبور والنذور لها والاستغاثة بها والسجود عندها شِرك لا يرضاه الله ، وهو هدم للتوحيد ـ الذي جاء به الإسلام ـ من أساسه ، ومثل ذلك تجصيص القبور وبناية الأضرحة ، وتشييد الأبنية عليها وكسوتها بالحرير المذهب وما إلى ذلك ، فكل هذه لايعرفها الإسلام »[1]

ويرى دعاة الحركة الوهابية أن ذلك مؤدي إلى الشرك لا محالة لأنه من أعظم ما ابتدع بعد رسول الله ﷺ ، وكل محدثة بعد الرسول ﷺ بدعة وكل بدعة في النار ، فهذا الذي جرى عليه المسلمون من سؤال الميت وتعظيم قبره والنذر له شرك يخرج صاحبه عن الإسلام .

« وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وأسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعياداً ، وجعل السدنة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان » ، وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك . فنهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره « ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه »[2].

ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي ـ حيان بن حصين ـ قال : قال لي علي رضي الله

---

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث للاستاذ أحمد أمين (ص١٣) .

(٢) من رسالة الشيخ محمد عبدالوهاب إلى شيخ الركب المغربي في موسم الحج .

عنه « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً إلا سويته » .

« وهذا فيه تصريح بأن النبي ﷺ بعث علياً لذلك ، أما القبور فلمضاهاتها لخلق الله ، وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأصحابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها ، فصرفوا لها جل العبادة : من الدعاء والاستغاثة ، والتضرع لها ، والذبح لها ، والنذور ، وغير ذلك من كل شرك محظور»[1] .

ولذلك فان جيوش الموحدين ما دخلت بلدة ولا فتحت قرية إلا وهدمت ما ارتفع فيها من قبور ، وأزالت ما أقيم حولها من صور وسرج وأنصاب ، ذلك أنها تعتبر ذلك ذريعة إلى الشرك ومدعاة لعبادة الأشخاص لا محالة مع مر الزمان ، وهي بالتالي معول لهدم الإسلام وخراب بنيانه .

يقول محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في كتابه « تطهير الاعتقاد » : « فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد ، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه : غالب - بل كل - من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أوصوفي أوفقير أو شيخ كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ، ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون ، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ، فيأتي مَنْ بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر ، وأرخيت عليه الستور ، والقيت عليه الورود

---

(١) فتح المجيد (ص٤٩٣) .

والزهور ، فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضر ، وتأتيه السدنة يكـذبون عـلى الميت بأنـه فعل وفعل ، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع ، حتى يغرسوا في جبلتـه كل بـاطل ، ولهـذا الأمر ثبت في الأحـاديث النبويـة اللعن على من أسرج القبـور وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة فإن ذلك في نفسـه منهى عنه ثم هـو ذريعة إلى مفسدة عظيمة» (١). أهـ .

فهـدم هذه القبـور وإزالتها حمـاية لجنـاب التوحيـد ، واستجابـة لما صـح عن النبي ﷺ ، ورد ما ابتدع من ألوان الشرك عندها.
وهدمها كذلك فيه حسم للبدع الكثيرة التي تحصل عندها وهي مردودة شرعـاً لأنها تنافي التوحيد الذي أراده الله لنا .

قال شيخنا رحمه الله : وهذه الأمور المبتدعـة عند القبـور مراتب : **أبعـدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ، ويستغيث به فيها .**

ثم ذكـر المرتبـة الثانيـة وهي : أن يسأل الله بـه ، وقال : وهـو بدعـة بـاتفـاق المسلمين .

والثالثة : أن يظهر أن الدعاء عند قبره مستجـاب أو انه أفضـل من الدعـاء في المسجد(٢) .

ولذلك وجب هدم هذه القبور لأن ما يجري عندها شرك أكبر ومـوجب للخلود في النار .

وهدم هذه القبور ومنع زيارتها الزيارة البدعية ، وتحريم الاستشفاع بها لا يعني

---

(١) فتح المجيد : (ص٢٥٧) .
(٢) مجموعة التوحيد (ص٤٦٣) عن رسـالة بيـان المحجة في الـرد على اللجـة للشيخ عبـدالرحمن بن حسن آل الشيخ .

أن الوهابيين ينكرون كرامات الأولياء أو شفاعة النبي ﷺ ، فالشيخ رحمه الله يقول :

« وأقر بكرامات الأولياء ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له الرسول ﷺ ، ولكني ارجو للمحسن وأخاف على المسيء »[1].

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد عبدالوهاب في رسالته إلى أهل مكة بعد دخولها : ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسبما ورد ، وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، ونسألها أيضاً من المالك لها والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً إلى الله تعالى « اللهم شفع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة » ، أو « اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك » أن نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم .

فلا يقال : يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها كأدركني أو أغثني أو أشفني أو أنصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

فإذا طلبت ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح على ذلك .

بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أن ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ[2] .

٤ ــ منع شد الرحال لمجرد زيارة القبور وتعظيمها :

ولم تقتصر الدعوة الوهابية على ذلك بل حرمت أن تُشدَ الرحال كذلك إلى قبور

(١) الشيخ محمد عبدالوهاب للاستاد أحمد بن حجر آل بن علي (ص٤٦) .

(٢) المصدر السابق (ص٧٧) .

الأنبياء والصالحين ، لأن فيه مساس بتحقيق التوحيد ، والنبي ﷺ حرص على أن لا يجعل قبره عيداً يزار وتُشد إليه الرحال من بعده ، ولذلك فقد بيّن عليه السلام أن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد النبوي ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، فكل من عقد العزم والنية وشد رحاله إلى قبر النبي ﷺ بقصد الزيارة والتبرك فإن ذلك لا يجوز وإذا كان بالنسبة لقبر النبي ﷺ فإن شدها إلى سواه حرام من باب أولى .

والذي لا بد من قوله في هذا الصدد أن الحركة الوهابية قدأصابت في اعتبار من يؤمن بالقبور وتقديس أصحابها وأنهم يضرون وينفعون ، فإذا أعتقد المسلم هذا في القبر أو الشجر أو غيره فإن ذلك من الشرك وإن صاحبه كافر وإن كان جاهلاً أو عالماً لأنه لا جهل بما عُلم من الدين بالضرورة في بلاد المسلمين .

أما إذا كان الحضور إلى القبر للعظة والاعتبار ، وتذكر أعمال الميت الطيبة واستحضار الحافز للحاق بالصالحين واقتفاء آثارهم والاقتداء بهم في العمل الصالح فهذا لا شيء فيه .

والدعوة الوهابية في ذلك كله مسبوقة بما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من تحريم شد الرحال لمجرد زيارة القبر فقط ، أما إن أريد زيارة المسجد النبوي ثم قرن ذلك بزيارة قبر النبي ﷺ عليه وسلم فلا مانع من ذلك ، وهذا لم يمنعه ابن تيمية ولا الشيخ محمد عبدالوهاب رحمها الله ، وإنما الذي عليه المنع هو الزيارة البدعية التي لم يقصد بها إلا الزيارة والتبرك بأصحاب القبر وما إلى ذلك من مظاهر شركية واعتقادات باطلة .

ومهما قيل في هذا فإن الحركة السلفية بدءاً من شيخها الأول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومروراً بمجددها في القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، قد أحسنت تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك في هذا الجانب ، فإن معظم البلاء إنما يأتي عن هذا الطريق ، إذ لا يفرق الرجل المسلم بين الخالق والمخلوق فيسوي بينهما في أشياء من صنوف العبادة ، لدرجة أن أحدهم ربما يحلف كاذباً فإذا طلبته للحلف بصاحب قبر أو جاهه تلعثم ولم يحنث ! فهل بعد هذا من شرك ؟

فيجب أن يستقر في خلد المسلم أن الرسول والصالحين والأولياء كلهم بشر لنا أن نعظمهم ونوقرهم بما لا يخرجهم عن بشريتهم. مع إقرارنا أن الله أكرم أنبياءه بالرسالة والنبوة ، كما أكرم أحبابه بالولاية والاصطفاء ، وهذا لا يعطيهم حقاً لا يُعطى إلا لله لأن ذلك من الشرك .

فحق الأنبياء عليهم السلام الإيمان بهم وتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، والانتهاء عما عنه نهوا وزجروا ، وألا نقدم عليهم قول أحدٍ من البشر كائناً من كان وبهذا يرضون عنا وننال شفاعتهم يوم القيامة .

ولأولياء الله الحب والتقدير والموالاة والاقتداء بهم في صالح الأعمال .

بهذا نكون قد أحسنا إلى أنفسنا واجتنبنا ما ينهى الله عنه ، وما لا يرضاه الأنبياء والأولياء .

الثالث : التوحيد في الذات والأسماء والصفات

لا خلاف بين الأمة أن الله واحد أحد في ذاته لا يشركه أحد في الخلق والتدبير ، وهذا معتقد الأمة الإسلامية وهو بالتالي معتقد أصحاب الحركة الوهابية . قال الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ،ولم يكن له كفواً أحد ﴾[1] فهو سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد .

وله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى قال الله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾[2]. فهو القادر وهو العليم وهو السميع إلى غير ذلك، ومن مخلوقاته من هو سميع ومن هو عليم وغير ذلك، ولكن شتان بين هذه الصفة إذا أضيفت إلى اسم الله وإذا أضيفت إلى المخلوق ، فهي في حق الله مطلقة ، أما في حق العبد فهي محدودة وقاصرة ، لأن الله كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[3].

«وإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله ، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتاً حقيقة لا تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين فله صفات حقيقية لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين، فمن يجحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين»[4].

«وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها ، فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فإن الكلام في الصفات فرع عن

---

(١) سورة الاخلاص

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠

(٣) سورة الشورى آية ١١

(٤) فتح المجيد (ص ٤٦٠) .

الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله لا تشبه صفاته صفات خلقه ، فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا »(١) .

وهذا الذي عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله هو مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم وهو مذهب الأئمة الأعلام والعلماء الكرام وقد كان لشيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فضل إحياء هذا المذهب ودعمه بالحجج والبراهين التي تزيل الإلباس وتنير الأفهام . وقد سلك سبيله العلماء الذين أنار الله أبصارهم للحق وهدى قلوبهم إلى الطريق المستقيم وكان من هؤلاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي يقول في رسالته إلى أهل القصيم :

« أشـهد ومن حضرني من الملائكة ، وأشهدكم أني أعتقد ما أعتقده أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمـان بالقدر خيره وشره .

ومن الإيمان بالله ، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، بـل أعتقد أن الله ﴿ ليس كمثله شيء وهـو السميع البصير . ﴾(٢) فلا أنفي عنه ، ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لا سَمِيَّ له ولا كفء ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه وتعالى ، أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيـلا وأحسن حديثا .

فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه

---

(١) فتح المجيد (ص ٤٦٠)

(٢) سورة الشورى آية ١١

النافون، من أهل التحريف والتعطيل فقال تعالى[1] ﴿ **سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** ﴾[2] .

ويقول في رسالته في الأسماء والصفات :

الذي نعتقد وندين الله به ، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم رضي الله عنهم .

وهو الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها ، والإقرار بها وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ، ولا تعطيل قال الله تعالى: ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾[3] وقدر الله لأصحاب نبيه ومن تبعهم بإحسان : الإيمان فعلم قطعا أنهم المرادون بالآية الكريمة .

وقال الله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار** ﴾[4] وقال الله تعالى ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾[5] فثبت بالكتاب أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق . ومن خالفهم فهو على الباطل فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه ، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقصان فيها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير ولا تأويل لها ، بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبّه بصفات المخلوقين ، بل

---

(١) سورة الصافات آية ١٨٠ .

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب . عقيدته ودعوته . بقلم أحمد بن حجر آل بن علي ص ٤٢ .

(٣) سورة النساء آية ١١٥ .

(٤) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٥) سورة الفتح آية ١٨ .

أقروها كما جاءت : وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها وأخذ ذلك الاخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضا بحسن الاتباع وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف الذين قال الله فيهم ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء** ﴾[1] وقال : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾[2] والدليل على أن مذهبهم ما ذكرنا ، أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ ، نقل مصدق لها مؤمن بها ، قابل لها ، غير مرتاب فيها ، ولا شاك في صدق قائلها ، ولم يؤولوا ما يتعلق بالصفات منها ولم يشبهوه بصفات المخلوقين إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ، بل زجروا من سأل عن المتشابه وبالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب .

ولما سئل مالك رحمه الله عن الاستواء : أجاب بمقالته المشهورة الاستواء معروف والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وأمر بإخراج الرجل .

وهذا الجواب من مالكِ في الاستواء ، شاف كاف ، في جميع الصفات مثل النزول والمجيء ، واليد ، والوجه وغيرها .

فيقال في النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وهكذا يقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة .

وثبت عن الربيع بن سليمان ، قال : سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله فقال : حرام على العقول أن تمثل الله وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تفعل إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه ﷺ .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥ .

وثبت عن إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني أنه قال : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ، يصفون ربهم بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله ، وشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقلته العدول الثقات ولا يعتقدون بها تشبيها بصفات خلقه ، ولا يكيفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية .

وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه ، واكتفوا في نفي النقائض بقوله عز وجل ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[1] وبقوله ﴿ **لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[2] .

وثبت عن الحميدي : شيخ البخاري وغيره ، من أئمة الحديث أنه قال : أصول السنة فذكر أشياء وقال ما نطق به القرآن والحديث : مثل ﴿ **قالت اليهود يد الله مغلولة** ﴾[3] ومثل ﴿ **والسماوات مطويات بيمينه** ﴾[4] وما أشبه هذا من القرآن والحديث ، لانرده ولا نفسره . ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة . ونقول : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ : ومن زعم غير هذا فهو جهمي .

فمذهب السلف رحمة الله عليهم ، إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أن إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، ولا تشبيه ، فكذلك الصفات ، وعلى هذا مضى السلف كلهم .

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .
(٢) سورة الاخلاص .
(٣) سورة المائدة آية ٦٤ .
(٤) سورة الزمر آية ٦٧ .
(٥) سورة طه آية ٥

ولو ذهبنا نذكر ما أطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لطال الكلام جدا فمن كان قصده الحق وإظهار الصواب ، اكتفى بما قدمناه . ومن كان قصده الجدال والقيل والقال ، لم يزده التطويل الا الخروج عن سوء السبيل والله الموفق »

ومن حق الإيمان بصفات الله كما وصف سبحانه نفسه ووصفه رسوله الإيمان بان القرآن كلام الله غير مخلوق والشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول في هذا المعنى :

« وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك الإيمان بمتشابه القرآن دون تأويل او تحريف ، ويرون ما رآه الشيخ ابن تيمية في هذا ، ولذلك فهم يقولون في مثل قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] ما قاله ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم من المؤمنين بصفات الله سبحانه وتعالى دون تشبيه ولا تمثيل .

جاء في فتح المجيد :

« عن ام سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] قالت « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإقرار بـه إيمان ، والجحود به كفر » رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح قال : « وثبت عن سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى أنه قال : لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن : كيف الاستواء ؟ قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى

---

(١) سورة طه آية ٥ .

الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق » . وقال ابن وهب: كنا عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك رحمه الله وأخذته الرحضاء وقال : الرحمن على العرش استوى ، كما وصف نفسه ولا يقال كيف ؟ و « كيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة . أخرجوه » رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب ، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضا ولفظه قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة »[1] .

---

(1) فتح المجيد ص ٥٢٥ .

موقف الوهابية من الفقه والفروع

يتبع الوهابيون في الفقه والفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بوجه عام ، لأن الإمام أحمد أقرب الى المنهج السلفي من سواه حيث يؤثر النص دائما على العقل ، ويؤثر الكتاب والسنة عما سواهما ، وقد اعتبره ابن تيمية من قبل أقرب الأئمة إلى المنهج السلفي فقلده لأنه توافق وابن تيمية في نظرتهما التقديرية إلى النص والدليل دون سواهما وترجيح رأي الصحابة والتابعين من القرون الثلاثة ولكن إتباع الأمام أحمد في المذهب لا يمنع من تقليد سواه إذا كان الدليل أقوى لدى المذهب الآخر . ووافق ذلك الكتاب والسنة وذلك مثل : « تقديم الجد على الأخوة في الميراث » فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقدم الجد على الأخوة بينما يقدم ابن حنبل رضي الله عنه الأخوة على الجد .

كما أن الحركة لا تنكر على أحد تقليد أحد الأئمة الأربعة شريطة ألا يؤدي التقليد إلى التعصب ومخالفة النص في بعض المسائل ، وهم إذ لا يمنعون تقليد أحد الأئمة الأربعة يمنعون تقليد سواهم لعدم ضبط مذاهب من عداهم كمذهب الشيعة أو داود الظاهري الأصفهاني وغيرهما .

وخلافاً للدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي في تطوره فإن الوهابية لم تنكر مذهب الشيعة بجملته بل وافقته في بعض المسائل : كالقول بأن المطلق ثلاثاً لا تحسب له إلا طلقة واحدة وهذا نفسه ما أفتى به ابن تيمية ووافق مذهب الشيعة في ذلك وموقفها من الشيعة عامة لا يختلف عن موقف ابن تيمية وموقف أهل السنة بعامة إذ تقر منهم ما وافق الكتاب والسنة وتنكر ما عدا ذلك .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وما ننكر على من قلد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير ، كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم ، لا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا أحد منا يدعيه إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة ـ أخذنا به وتركنا المذهب[1]

وبهذا تكون الوهابية قد فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه في بعض المسائل وفي الفقه كله بوجه عام وذلك حسب طاقة المجتهد وفهمه لنصوص الكتاب والسنة وحسب منطوق اللغة العربيةوما أُثـر عن الصحابة في ذلك ، ولا يشترط أن يكون المجتهد في مسألة ما مجتهداً مطلقاً وتتحقق فيه شروط الاجتهاد التي وضعها الفقهاء والتي يندر ان تنطبق على أحد ، لصعوبتها ولندرتها في عالم البشر ، ففتح بـاب الاجتهاد ضـرورة تقتضيها متطلبات الحياة ومقتضيات المصلحة الإسلامية في كل عصر ، فرد النص وترك الكتاب والسنة ظاهرة جاهلية وسمة من سماتها .

وفتح باب الاجتهاد ورفض التقليد فيما لا دليل فيه ، يتصل بتوحيد العبادة لله اذ لا يؤخذ من كلام البشر الا ما وافق الكتاب والسنة ومنبثقاً عنهما .

« إن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، كما ذكر الله ذلك في آي القرآن ، وما جاء به نبيهم محمد ﷺ كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السنة وعلق الله النجاة والفلاح باتباعه ﷺ وذكر الله ذلك في عدة مواضع ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلاً بعينه غيره ﷺ »[2] .

---

(١) من رسالة للشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب .

(٢) مجموعة التوحيد ص ٢٠٧ .

الفصل الثاني عشر

الشبهات والرد عليها

موقف الوهابية من الأئمة الأربعة

يقول ابن تيمية في مقدمة كتابه « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » :

وبعد فيجب على المسلمين ـ بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ ـ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ، يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر . وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، إذ كل أمة ـ قبل مبعث نبينا محمد ﷺ ـ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين ، فان علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا .

وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة ـ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ـ يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل .

فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله ﷺ . وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول ، قد جاء حديث صحيح بخلافة ، فلا بد له من عذر في تركه »[١] .

فالمنهج السلفي في موقفه من الأئمة الأربعة رضي الله عنهم لا يتغير ولا يتبدل وهو موقف التقدير والتكريم والتعظيم ، ولا خلاف على صلاحهم وقبولهم عند الأمة قبولاً عاماً وعند أصحاب الفكر السلفى منذ ابن تيمية وحتى الآن . ولا خلاف عند الوهابيين في هذه المسألة ، ولم تنكر الوهابية تقليد أحد هؤلاء الأئمة لقناعتها بأنهم على الحق

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٩ ط المكتب الإسلامي

والهداية ، وإنما أنكرت التعصب الأعمى والتقليد المذموم الذي أفضى بالأمة إلى الخلاف والتفرق وقديماً نهى الأئمة عن التقليد المذموم .

«فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنا من كان ، ونصوص الأئمة على هذا ، وإنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يرجع اليه من كتاب ولا سنة ، فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد وذلك مجمع عليه كما في كلام الشافعي رحمه الله »[1] .

وقول أحمد رضي الله عنه : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ﴾[2] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله : وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينه : اضطجع ربيعة مقنعاً رأسه وبكى ، فقيل له : ما يبكيك قال : « رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا ، وما أمروهم به ائتمروا » .

قال عبد الله بن المعتمر : «لا فرق بين بهيمة تنقاد وإنسان يقلد»[3]

« ولا يخالف في ذلك الاجهال المقلدة ، لجهلهم بالكتاب والسنة ورغبتهم عنها وهؤلاء وإن ظنوا أنهم قد اتبعوا الأئمة فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم ، واتبعوا غير سبيلهم ، كما قدمنا من قول مالك والشافعي وأحمد ، ولكن في كلام أحمد رحمه الله

---

(١) فتح المجيد ص ٣٩٥ .

(٢) سورة النور آية ٦٣

(٣) مجموعة التوحيد ص ٢١٤ عن رسالة أسباب نجاة السول من السيف المسلول .

إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لايذم وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة ، وذلك إنما ينشأ عن الاعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والإقبال على كتب من تأخروا والاستغناء بها عن الوحيين ، وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف أقوالهم أن يعرضها على مافي الكتاب والسنة ، فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لابد أن يذكر دليله والحق في المسألة واحد والأئمة مثابون على اجتهادهم ، فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقا إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهناً وتمييزاً للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون ، ويعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه والأدلة على هذا الأصل في كتاب الله أكثر وفي السنة كذلك»(١)

فلا خلاف بين الحركة الوهابية والناس في المذاهب الأربعة والأئمة رضوان الله عليهم ، وإنما حصل الخلاف من تمسك الناس بالتقليد المذموم الذي إذا تعلقت به طائفة والتزمت مذهباً من المذاهب الأربعة قالت : لا يجوز مخالفته ولابد من اتباعه على كل حالة ، وقالوا نتعبد الله بأقوالهم ، وجعلوا كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين . فهذا الذي وقع فيه الخلاف .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

« فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أنه ليس بيننا وبين الناس اختلاف في المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم نزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ، كما كان هذا هو الواقع من أهل هذا الزمان ، وليس لهم حجة إلا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون بأنهم

---

(١) فتح المجيد ص ٣٩٨

ينتسبون إلى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فإن من انتسب إلى شيء وليس عليه حقيقته لم ينفعه ذلك ، فإن النصارى لم ينفعهم انتسابهم إلى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم إلى موسى »(١)

---

(١) مجموعة التوحيد ص ٢١٠ .

موقف الحركة الوهابية من الخلافة العثمانية

إن القوى العالمية ما انفكت تدبر المكائد للقضاء على مظهر الخلافة الإسلامية المتمثل في السلطنة العثمانية ، خاصة بعد أن رفض السلطان عبدالحميد إعطاء اليهود وطنا قومياً لهم في فلسطين ، ورفض / ١٥٠ / مليون ليرة ذهبية مقابل ذلك .

وكان الدور الطليعي والمنتظر من الحركات الدينية أن توقف تصدع هذه الدولة وتعمل على مساندتها ، لأنه بضياعها ضاعت هوية الشرق الإسلامي . وكانت الوهابية أولى الحركات برأب تصدعها ووقف انهيارها وعدم مساسها .

ولبيان وجه الحق في الأمر لابد أن نوضح عدة أمور تشكل بمجموعها عناصر الموقف .

أولا : لم تكن للدولة العثمانية سلطة في بلاد نجد ، كما كانت سلطتها على الأحساء وبلاد الحجاز اسمية ، إضافة إلى أنها لم تتمكن من دخول اليمن نهائياً .

ثانيا : إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان يتخذ موقف الوعظ والارشاد تجاه بلاد الحجاز (مكة والمدينة) فقد أرسل أكثر من وفد إلى أشرافها يدعوهم فيها إلى الحق ، ولكنهم لم يستجيبوا له وأصروا على مواقفهم ومنع حجاج نجد من أداء الفريضة ، بل إن الشريف مسعود أمير مكة أعتقل وفد العلماء الذين أرسلهم الشيخ لمناقشتهم ومحاججتهم وحبسهم في السجون حتى مات أكثرهم فيها ، واستمر منع حجاج نجد حتى عهد الشريف أحمد بن سعيد الذي تولى الأمارة في سنة ١١٨٦هـ وأراد تحسين علاقته مع الحركة الوهابية ، وكان منع حجاج نجد يتجدد بين الفينة والفينة .

ثالثا : إن جلّ ما وصل إلى الآستانة من أخبار الحركة الوهابية رسائل من خصوم الحركة من أمثال سليمان بن سحيم والشريف غالب وغيرهما من علماء السوء وأدعياء العلم وأرباب التزلف إلى السلطان على حساب المبادىء والقيم ، ولذا كانت الصورة مشوشة وغير صحيحة للشيخ محمد بن عبدالوهاب عند السلطان العثماني ، وكانت الحركة الوهابية عندهم بمثابة خوارج يخرجون عن طاعة أمير المؤمنين ، يذكر الجبرتي في تاريخه أحداث سنة ١٢١٧ هـ شهر شعبان فيقول « وفيه حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها هروباً من الوهابيين وقصدهم السفر إلى استانبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ويستنجدون بها لينقذوهم منهم » .

رابعا : إن قرار الحرب الذي اتخذته السلطنة العثمانية ضد الحركة الوهابية بني على أساس خاطىء وفهم مغلوط تكون من خلال الرسائل التي بعث بها أعداء الحركة إلى السلطان ، وقد عقد اجتماع في الآستانة لتحديد الموقف الواجب نحو الوهابية هذا الموقف تذكره وثيقة رقم ٣٧٩٠ وهي عبارة عن تقرير أعده رئيس الوزراء عن هذا الاجتماع خرجوا منه بقرار الحرب على الحركة وإرسال الجيوش للقضاء عليها .

خامسا : والذي يبدو للباحث أن الحركة الوهابية نظرت إلى الدولة العثمانيةعلى أنها حامية لمظاهر الشرك ودعاته فها هي القبور تقام عليها المساجد ، وتقترف حولها الآثام ، حيث يتمسح بأحجارها ويحج إليها ويطاف حولها ، وتسرج القناديل لها وتذبح النذور على أنصابها، والدولة ساكتة على هذا الذي تعتبره الحركة شركا في نظرها وخروجاً عن دين الإسلام ، ولذلك إن حاربت الدولة العثمانية فليتسنى لها تحقيق معاني التوحيد في تصورها وهدم آثار الشرك في الديار الإسلامية .

سادسا : « فإن الدولة العثمانية ترعى الحركات والطرق الصوفية وتوليها مكانة حسنة »[1] . وهذا السبب وحده كاف لحرب هذه الدولة إذ أن الحركة تقف موقفا صلبا

(١) الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر للدكتور أحمد طربين ص ١١٥ .

ضد الحركة الصوفية ، وتعتبرها أبشع أنواع الشرك إذ أنها تدعو إلى تقديس الشيوخ والأولياء ورفعهم فوق مستوى البشر ، وتأمر مريديها بالتسليم للشيخ كما يستسلم الميت على مغتسله ، وهي التي تسعى حول قبور شيوخها وتتمسح بأحجارهم ، وتدعو عندهم وترجوهم المدد والنصرة .

وقد كان بعض السلاطين يتتلمذون على يد شيخ من أصحاب هذه الطرق الصوفية . وهذه قطعة من رسالة بعث بها السلطان عبدالحميد إلى شيخه لنثبت للقارىء الكريم ما نقوله :

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية إلى مفيض الروح والحياة إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة . بعد تقديم احترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .
سيدي . . .

إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا نهارا وأعرض أنني مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ . إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني ـ بسبب المضايقة من رؤوساء جمعية الاتحاد والترقي باسم (جون تورك) وتهديدهم ـ اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

سابعاً : إن الشيخ يدعو صراحة إلى عدم مخالفة أولي الأمر وعصيانهم يقول رحمه الله :

« إن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة (هذا في عرف الجاهلية) فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد »[1]

فالحركة لا يمكن أن تخرج على الحاكم المسلم الواجب على المسلمين أن يسمعوا له ويطيعوا ، وقد وفرّ علينا الجبرتي العناء حيث نقل عن أكابر الضباط في جيش محمد علي باشا الذي ذهب إلى قتال الموحدين ما قالوه له :

« وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا . وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع في عرضينا (أي محط جيشنا) أذان ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائرالدين» !!

ثم يصف الجبرتي حال الجيش فيقول :
« يأكلون ويشربون جهارا نهارا في رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ، ويمرون بالأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الأقصاب والشبكات التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوي في الضحوة فيجدونها مغلقة فيسألون عن (القهوجي) ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلي لهم القهوة ويسقيهم ، فربما هرب (القهوجي) واختفى منهم فيكسرون الباب ويعبثون بآلاته وأوانيه فما يسعه إلا المجيء وإيقاد النار !! وأشنع من ذلك أنه اجتمع بناحية عرضيهم وجناحهم الجمع الكثير من النساء الخواطي والبغايا ونصبوا لهم خياما وأخصاصا ، وأنضم اليهم بياع (البوظة) و (العرقي) والحشاشون والغوازي

---

(١) الجامع الفريد ص ٢٣٩ عن رسالة مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبدالوهاب

والرقاصون وأمثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد ، فكانوا جمعا عظيما يأكلون ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون (الجوزة) ويلعبون القمار جهارا في رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكليف وخلصوا من الحساب »!! « ويأتي أحدهم وبيده شبك الدخان فيدني مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه وينفخ فيه على سبيل السخرية والمزيان بالصائم » . . فإذا ما رحل ذلك الجيش (الغازي) ورست قواته في ثغر ينبع « نهبت الودائع والأموال والأقمشة وسبوا النساء والبنات بالبندر ويبيعوهن على بعضهم البعض » !!! . .

ثامناً : كتب الأمير سعود بن عبدالعزيز رسالة إلى السلطان سليم بعد دخوله مكة يظهر فيها جلياً اعترافه بالسلطنة للسلطان سليم ويرجو منه الإيعاز إلى ولاة الشام ومصر أن يمنعوا المظاهر الشركية التي تصاحب حجاجهم إلى بيت الله يقول فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من سعود بن عبدالعزيز إلى السلطان سليم ، إني دخلت مكة ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية ، وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقا ، وثبّتُ القاضي الذي وليته أنت طبقا للشرع الاسلامى ، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور ، فإن ذلك ليس من الدين في شيء » .

من هذا كله يتضح أن الحركة الوهابية لم تحارب الخلافة الإسلامية وإنما حاولت جمع شتات الجزيرة العربية تحت راية الإسلام ، والذي بادر بالحرب إنما هو الدولة العثمانية .

فإن أصر معاند على أن الحركة الوهابية حاربت الخلافة الإسلامية فنقول إنها اجتهدت الحق في ذلك لأنها رأت مظاهر الشرك كثيرة في أرجاء السلطنة ، ورأتها كذلك تحمي التصوف وتلتزمه وهو من سبل الشرك وطرقه .

اتهام المسلمين بالشرك

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالة موجهة إلى عبدالرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق : « فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم أفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهم فمن ذلك ألا يدعى إلا إياه كما قال تعالى : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾[1] فمن عبدالله ليلا ونهاراً ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره فقد اتخذ الهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو : المدعو . كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم وكما يُفعل هذا عند قبر زيد وغيره ومن ذبح لله ألف ضحية ثم ذبح للنبي ولغيره فقد جعل إلهين اثنين كما قال تعالى ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾[2] والنسك هو الذبح وعلى هذا فقس » .

ويعتبر في رسالته تفسير كلمة التوحيد أن المسلمين يعتبرون الشيخ أو الوالي هو الإله فالألوهية عندهم بهذا المعنى فاسمعه يقول :

«فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية . والإله معناه الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ وتسميه العامة السيد وأشباه هذا وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجىء الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله .

فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين يسميهم الأولون الآلهة

---

(١) سورة الجن آية ١٨

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٢

والواسطة هو الإله ، فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال الوسائط»[1] .

« فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظا ومعنى، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظا وجحدوها معنى ، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة كالحب والتعظيم ، والخوف والرجاء ، والتوكل والدعاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب ، فإن أحدهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى ويعتقدون أنه أسرع فرجا لهم من الله ، بخلاف حال المشركين الأولين ، فإنهم كانوا يشركون في الرخاء ، وأما في الشدائد فإنما يخلصون لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ فإذا ركبوا في الفُلك دَعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[2] فبهذا يتبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم »[3] .

كتب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بعد دخول الأمام سعود إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٨ هـ رسالة جواباً لمن سأله عما يعتقدونه ، ويدينون الله به ، وقول السائل : لِمَ تُكفرون يا أهل نجد المسلمين وعباد الله الصالحين ، وتعتقدون ضلالهم وتبيحون قتالهم .

فأجاب رحمه الله :

فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

النوع الأول :

من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله ﷺ أظهره للناس وأقر أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر الذي هو دين غالب الناس أنه الشرك بالله الذي بعث الله

---

(١) رسالة تفسير كلمة التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٥

(٣) فتح المجيد ص ٤٤ .

رسوله ﷺ ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك .

فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس .

النوع الثاني :

من عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به وثبت في مدح من عبد غير الله وغالى في أوليائه . ففضلهم على من وحد الله وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[1] وهو ممن قال الله فيه: ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم ﴾[2] .

النوع الثالث :

من عرف التوحيد واتبعه وعرف الشرك وتركه : ولكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك فهذا أيضا كافر وفيه قول الله ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾[3] .

النوع الرابع :

من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وساعون في قتالهم ويتعذر عليه ترك وطنه ويشق عليه فيقاتل أهل التوحيد ويجاهدهم بما له ونفسه .

---

(١) سورة البقرة اية ٨٩.
(٢) سورة التوبة آية ١٢
(٣) سورة محمد آية ٩

فهذا أيضا كافر فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولا يمكنه ترك الصيام إلا بفراقهم فعل وإن يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل ، وموافقته على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضا كافر وهو ممن قال الله فيه ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أرسكوا فيها ﴾[1] هؤلاء الذين نكفرهم لا غير[2] .

وهو رحمه الله يعتبر أن شرك أهل زمانه أشد من شرك العرب على عهد رسول الله ﷺ :

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا « الاعتقاد » هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

(أحدهما) أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه . فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفورا ﴾[3].

(الأمر الثاني) أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله : إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة ، أو يدعون أحجارا أو اشجارا مطيعة لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم

---

(١) سورة النساء آية ٩١

(٢) الرسالة بكاملها في الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية . ونحن إنما نقلناها من كتاب أحمد بن حجر عن

(٢) الشيخ ودعوته ص ٨٠ .

(٣) سورة الاسراء آية ٦٧

الفجور من الزنا والسرقة ترك الصلاة وغير ذلك . والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي ـ مثل الخشب والحجر ـ أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به[1] .

ويقول في رسالة أخرى :

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يدعون الأولياء الصالحين في الرخاء والشدة ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات[2] .

ويقول في رسالته المسماة « أربع قواعد من قواعد الدين تميز بين المؤمنين والمشركين » . وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ـ ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة ـ إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله[3] .

ويقول أيضا في نفس الرسالة :

إن مشركي زماننا أعظم شركا من الأولين ، لأن الأولين كانوا يخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء ، ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة . والدليل قوله تعالى ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون** ﴾[4] .

هذا هو الشرك الذي تراه الحركة الوهابية . وهؤلاء هم المشركون في نظر الحركة الوهابية . ومَنْ لا يُكَفِّر من يشرك مع الله سواه ؟ ومن لا يُكَفِّر من يوالي ويصانع أعداء الله .

---

(١) الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ص ٤٢ .

(٢) الجامع الفريد ص ٢٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) كشف الشبهات ص ١١ والآية من سورة العنكبوت آية ٦٥

لقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ إلى العرب وهم مقيمون على عبادته سبحانه وتعالى مؤمنون به غير أنهم يشركون معه في عبادته أوثانا وأصناما وجناً وملائكة ، فلم يقبل منهم هذا الإيمان ، ورد عليهم عبادتهم رغم إقرارهم أنهم أنما يعبدون هذه الأوثان لتكون وسائطهم عند الله ولتقربهم إلى الله زلفى .

ولقد رأى الشيخ وأتباعه أن المسلمين يعكفون على قبور الأنبياء والصالحين يتمسحون بها ويتبركون بأحجارها ويطوفون حولها ، نعم يطوفون حولها كما يطوف الحاج حول الكعبة .

وقد رأهم ينذرون ويذبحون لغير الله ، وقد سمعهم يستنجدون بغير الله .

ولقد وجدهم يذهبون إلى الغيران والسحرة لفك الكربات وتفريج الملمات ، ورأى الفواحش تنتشر بين الناس ، والبدع تنفق سوقها بين العامة وعند الخاصة .

فنهض رحمه الله ومن معه من المؤمنين يصحح للناس عقائدهم ،.وينير طريقهم ، ويفتح قلوبهم ، ويذل طاغوتهم حتى أعز الدين وأقام الشريعة ، وجمع الأمة على الخير والهدى .

أبعد هذا يقولون إنه رمى المسلمين بالشرك .

لقد رمى المشركين بشركهم لأنهم أشركوا بالله ، أما الذين استقاموا على الهدى فلم يكفرهم ولم يتعرض لهم . فهو لايكفر على العموم وإنما يكفر من أتى بأفعال المشركين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين .

الفهـــرس